احتراق إيران في
لهيب الثورة السورية

حول أضرحة
مالي والمسجد الأقصى ومساجد سوريا والعراق

الشيعة
والمواطنة المزعومة



www.alrased.net

سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

الراصد العدد ١١١ رمضان ١٤٣٣هـ

مسلمو الروهنجيا أو الرُوَينجية

أكبر مجموعة "بدون" وأكثرهم اضطهاداً في العالم

المحتويات

فاتحة القول

فرق ومذاهب

سطور من الذاكرة

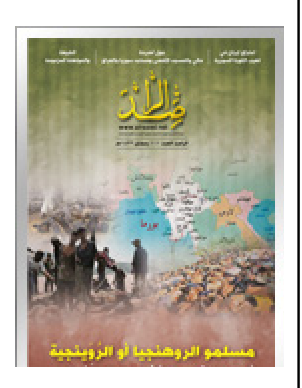
دراســـــات

كتاب الشهر

قالوا

جولة الصحافة





رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١١١)
رمضان - ١٤٣٣ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

الشيعة والمواطنة المزعومة

مفهوم المواطنة مفهوم حديث لم يتبلور نظرياً إلا في سنة ١٩٤٨م مع صدور الإعلان العالمي لحقوق وواجبات الإنسان، وكان الدافع لإيجاد هذا المفهوم هو التخلص الكامل من إرث الدولة الثيوقراطية الأوروبية، والتي كانت تقوم على الطبقية والحق الإلهي للملوك في الحكم.

ثم ظهرت الدولة القومية كمرحلة انتقالية، بحيث يصبح كل من يخضع لسيادة الدولة له حقوق معينة، وإن كانت الحقوق تتفاوت بحسب الجنس أو الدين أو العرق.

ثم جاءت فكرة المواطنة في سعي من أجل الوصول للمساواة الكاملة بين أفراد الشعب، من خلال منح الجميع نفس الحقوق بغض النظر عن الجنس أو الدين أو العرق، وذلك للوصول للعلمانية الكاملة، بحيث يتم تجاوز وتخطي الأحكام الشرعية الإسلامية في العلاقة بين الرجل والمرأة والعلاقة بين المسلم وغير المسلم.

ورغم أن فكرة المواطنة تبدو براقة وجذابة، إلا أنها فعليا غير قابلة للتحقق!! فرغم رفع شعار المساواة بين جميع المواطنين، إلا أنك تجد أن جزءاً كبيراً من المواطنين محروم من المشاركة السياسية إما بسبب عمره حيث لا يسمح بالمشاركة تحت سن معينة!! كما أن العديد من الدول العلمانية والديمقراطية والتي ترفع شعار دولة المواطنة تحرم المواطنين العسكريين من المشاركة السياسية!!

هذا على صعيد القوانين، أما على صعيد العرف المجتمعي فلا تزال هناك أعراف تمنع بعض العرقيات أو الطوائف من مناصب معينة، ويكفي أن أمريكا نفسها لم تنجح فيها إمرأة بالوصول لمنصب الرئيس! وحين فاز باراك أوباما كان ذلك ممزوجاً بكثير من الامتعاض لدى قطاعات واسعة!!

كما أن دولة المواطنة تقترن غالباً بالاقتصاد الرأسمالي، والذي ينتج عنه تلقائيا نوع من اللامساواة الاجتماعية، والذي نراه جميعاً من تغول بعض النخب الاقتصادية والسياسية بطرق تحايلية على حساب بقية المواطنين، ولذلك تتضخم ظاهرة الفساد!!

عموماً مفهوم المواطنة أصبح الشماعة التي يختبئ الشيعة خلفها أو تحتها للترويج لمظلوميتهم واضطهادهم من قبل الأنظمة العربية، ولذلك تجد الشيعة يحرصون في مشاركاتهم الإعلامية على (لوك) مصطلحات من قبيل حقوق المواطنة وحقوق الإنسان والمشاركة المنقوصة والحقوق المغيبة وما شاكلها.

والغريب أن مفهوم المواطنة لا يقتصر على حقوق الأفراد والمواطنين بل يشمل أيضاً واجبات والتزامات من الأفراد والمواطنين تجاه الدولة، فالمواطنة التي تمنح المواطن الحقوق المدنية والحقوق السياسية والحقوق الاجتماعية والحقوق القانونية، فإنها ترتب عليه مجموعة من الواجبات القانونية والالتزامات المعنوية كما تفرض عليه الولاء التام للوطن.

وهنا نجد الازدواجية العجيبة للشيعة في المطالبة بالمواطنة، فهم يريدونها مواطنة حقوق بلا واجبات ولا التزامات، وإنما المطالبة بالمزيد من الحقوق غير المشروعة أيضاً.

فالشيعة في البلاد العربية والتي غالبيتها من

السنة، يتمتع الشيعة بالمساواة مع بقية المواطنين في كافة الحقوق، وهذا تفصيلها:

❖ **الحقوق المدنية:** يتمتع الشيعة على غرار بقية المواطنين بها والتي تشمل: حرية التعبير وحرية الصحافة والعقيدة وحرية التملك، فهل يوجد بلد عربي سني يمنع الشيعة من التعبير عن أنفسهم أو المشاركة في الصحافة أو ممارسة شعائرهم الدينية أو تملّكهم لما يرغبون فيه؟؟

هذا غير حاصل، لكن الشيعة لا يكتفون بهذه الحقوق وإنما يريدون أن يشتموا مقدسات الأغلبية السنية علناً ودون نكير في الشارع والصحافة والفضاء العام، ويريدون أن يرسخوا ثقافة الطائفية الشيعية الإجرامية في حسينياتهم دون عتاب، كما يفعلون في العراق اليوم، حيث تخرج مواكب الشعائر الشيعية في الشوارع تشتم وتلعن الصحابة وأمهات المؤمنين بدعوى حرية التعبير!! ومعلوم أن هذا غير مقبول لا شرعاً (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم)، ولا هو مقبول قانوناً، وأيضاً لماذا يقتصر شتم ولعن الشيعة فقط على مقدسات المسلمين ولا يشمل اليهود والنصارى والصابئة والمجوس؟؟

❖ **الحقوق السياسية:** والتي تعني المشاركة بإبداء الرأي في الاستفتاءات التي تجري طبقاً للدستور، والانتخاب والترشح لمناصب رئيس الدولة أو مجلس الشعب أو الإدارات المحلية والنقابية، ونتساءل: أين حُرم الشيعة من هذه الحقوق في البلاد العربية السنية دون بقية الناس؟

أليس الشيعة يشاركون في الاستفتاءات ولهم نواب ووزراء في عدد من الحكومات، بل وبما يفوق حجمهم ونصيبهم، بل أليس الشيعة في عدد من البلاد العربية هم أصحاب الهيمنة إما بسبب البلطجة والتشبيح (لبنان والعراق) أو تحالفهم مع قوى سياسية مؤثرة (الكويت)، أوليس الشيعة أصحاب نفوذ يصل لحد التمرد المسلح (اليمن والبحرين، والسعودية نوعا ما).

طبعا كل هذا وهم يتمتعون بحق المشاركة في الاستفتاءات والانتخابات ومن ثم يقودون التمرد العسكري أو الهيمنة والإقصاء!! بينما ما يقابلهم من السنة (القاعدة وأخواتها) لا يتمتعون بهذا الدلال والرعاية، بسبب ضعف أنظمتنا وتخبطها، وقوة كذب ودجل الشيعة عبر أبواق الإعلام ومساطب جمعيات حقوق الإنسان.

❖ **الحقوق الاجتماعية:** والتي تعني حق المأوى والتعليم والصحة والغذاء والماء والعمل والثقافة الخاصة، فهل الشيعة محرومون من هذه الحقوق؟

أليست أوضاع الشيعة في دولهم مثل بقية المواطنين إن لم تكن أفضل؟ أليست أوضاع الشيعة في البلاد التي يحكمها السنة أفضل من أوضاع الشيعة في إيران والعراق؟

هل يمكن للشيعة أن يثبتوا أنهم محرومون من شيء من هذه الحقوق وسواها بشكل خاص دون بقية المواطنين سوى أنهم شيعة؟؟

❖ **الحقوق القانونية:** ويقصد بها أن الجميع متساوون أمام القضاء وأن المواطن بريء حتى تثبت إدانته وأن من حقه أن يتلقى محاكمة عادلة دون تأخير مقصود بغرض الإضرار.

فهل الشيعة لا يتساوون مع بقية الناس بهذه الحقوق؟ بل أليس الشيعة يحصلون بشكل استثنائي على عفو وتخفيف العقوبة بل ويتم التغاضي عنها أصلاً بما يفوق ما يحصل عليه بقية المواطنين؟

وهذا موضوع يستحق بحثاً مقارناً يثبت بالأرقام كيف أن الحقوق القانونية الزائدة للشيعة جعلت جرائمهم السياسية تتزايد وتتكرر لأنهم أمنوا العقوبة الرادعة، وإلا لم يكرر الحوثيون الحرب على الدول بكل أنواع السلاح لسبع مرات إلا بسبب هذا؟

هذه حقيقة حقوق المواطنة التي يتشدق بها الشيعة، وهذه حقيقة أنهم حاصلون على كافة حقوق المواطنة بل وبزيادة عن غيرهم.

كما أنهم في الدول التي يسيطرون فيها يحرِمون الآخرين من معشار ما يتمتعون به كما في العراق وإيران، وهم انتهازيون في مفهوم المواطنة إلا فكيف يصرخ حسن نصر الله ويبكي على حق الطائفي نمر النمر في السعودية وعلى مقتل مجرمي خلية الأزمة السورية، ولا يبالي بآلاف القتلى والجرحى والمعتقلين السوريين؟؟

إنهم مع أخذهم لحقوق المواطنة بالكامل وزيادة لا يلتزمون بأي ولاء لأوطانهم، ولا يجعلون المصلحة الوطنية بوصلتهم، فحركتهم تتناغم مع المايسترو الإيراني، ومن ثم يحدثونك عن المواطنة وحقوقها!!

٥- العلامة محمد البشير الإبراهيمي (١٣٠٦-١٣٨٥هـ/ ١٨٨٩-١٩٦٥م)

أسامة شحادة(*) - خاص بالراصد

تمهيد:

العلامة محمد البشير الإبراهيمي هو الرجل الثاني في تاريخ الدعوة الإسلامية المعاصرة في الجزائر وجمعية العلماء المسلمين فيها، بعد العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس.

وقد مرت حياة البشير بعدة محطات، هي: النشأة والهجرة لخارج الجزائر، العودة للجزائر والتعاون مع العلامة ابن باديس، تولي رئاسة جمعية العلماء المسلمين بعد وفاة ابن باديس، مغادرة الجزائر ودعم الثورة الجزائرية، العودة للجزائر بعد الاستقلال.

وللأسف فإن الكتابات المعمقة عن دوره في الثورة الجزائرية ورفضه لانحراف جبهة التحرير عن المبادئ الكبرى وهي الإسلام والعدل والحرية، لم تتوفر بين يديّ، فجاء الكلام فيها مجملا غير مفصل على أهميته وضرورته في هذه المرحلة من حياة أمتنا والتي تشهد ثورات سلمية على الطغيان والاستبداد الذي تولاه أُناس من جلدتنا عقب زوال الاستعمار.

المحطة الأولى: ولد محمد البشير الإبراهيمي سنة (١٣٠٦هـ/ ١٨٨٩م) بمواطن قبيلة «أولاد إبراهيم» غرب مدينة قسنطينة بالجزائر، في بيت علم ودين، ويرجع نسبه إلى إدريس بن عبدالله مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى.

حفظ القرآن الكريم ودرس علوم العربية وحفظ الكثير من الشعر على يد عمه الشيخ «محمد المكي الإبراهيمي» الذي كان من أبرز علماء الجزائر في زمانه، ومن هنا جاء نبوغ الإبراهيمي في الأدب واللغة، بعد وفاة عمه خلفه في التدريس الإبراهيمي وكان بالكاد يبلغ الرابعة عشرة من عمره حتى جاوز عمره عشرين سنة في ١٩١٢.

وكان والده قد غادر الجزائر سنة ١٩٠٨ إلى المدينة المنورة هربا من ظلم الفرنسيين له، فلحقه محمد البشير سنة ١٩١١، وفي طريقه للالتحاق بوالده أقام بالقاهرة ثلاثة أشهر والتقى العلماء فيها وزعماء النهضة الفكرية والأدبية، ومن هؤلاء مشايخ الأزهر: سليم البشري ومحمد بخيت،

(*) كاتب أردني.

وحضر عدة دروس في مدرسة الدعوة والإرشاد التي أسسها العلامة محمد رشيد رضا صاحب المنار، والشاعران شوقي وحافظ، ومن ثم واصل سفره عن طريق البحر إلى حيفا، ومنها بالقطار للمدينة المنورة.

في المدينة المنورة لازم الشيخ عبد العزيز الوزير التونسي والشيخ حسين أحمد الفيض أبادي الهندي، وكان يقضي جل وقته في إلقاء الدروس والمطالعة في مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت وأمثالها.

وهناك في المدينة سنة ١٩١٣ التقى الإبراهيمي بالشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ الطيب العقبي وكان قد سبقهما في الهجرة إلى المدينة، فكانوا يلتقون للبحث في شؤون الجزائر وسبل النهوض بها ومن هذه اللقاءات تأسست جمعية العلماء المسلمين بعد سبعة عشر عاماً كما مر معنا في ترجمة ابن باديس.

بعد قيام الثورة العربية بقيادة الشريف حسين في سنة ١٩١٧ قامت السلطات العثمانية بترحيل سكان المدينة المنورة إلى دمشق، لعجزها عن توفير الطعام للجيش والسكان، فرحلت أسرة الإبراهيمي فيمن رُحل.

في دمشق تعرف البشير الإبراهيمي على عدد وافر من العلماء على رأسهم علامة الشام الشيخ بهجة البيطار، وهناك باشر الإبراهيمي بالوعظ والإرشاد في الجامع الأموي، والتدريس بالمدرسة السلطانية (مكتب عنبر)، فتخرج على يديه عدد من فطاحل الشام وقادته مثل د.جميل صليبا، ود. عدنان الأتاسي.

وقد شارك الإبراهيمي في جهود الإصلاح والنهضة من خلال مشاركته في الندوات والمجالس والنوادي التي كانت تسعى إلى توحيد العرب والمسلمين.

ولما دخل الأمير فيصل دمشق طلب من البشير الإبراهيمي أن يعود للمدينة وأن يتولى إدارة المعلاف بها، لكنه فضل العودة إلى وطنه الجزائر.

المحطة الثانية: عاد الإبراهيمي إلى الجزائر في مستهل سنة ١٩٢٠، وكانت لا تزال تحت الاحتلال الفرنسي الظالم، والذي قام البشير دائما بالكتابة عن شروره وأخطاره وعدوانه على الجزائريين، ومما قال فيه: «جاء الاستعمار الفرنسي إلى هذا الوطن كما تجيء الأمراض الوافدة، تحمل الموت وأسباب الموت، ... والاستعمار سلّ يحارب أسباب المناعة في الجسم الصحيح وهو في هذا الوطن قد أدار قوانينه على نسخ الأحكام الإسلامية، وعبث بحرمة المعابد، وحارب الإيمان بالإلحاد، والفضائل بحماية الرذائل، والتعليم بإفشاء الأمية، والبيان العربي بهذه البلبلة التي لا يستقيم معها تعبير ولا تفكير».

وقال أيضا: «جاء الاستعمار الدنس الجزائر يحمل السيف والصليب، ذاك للتمكن وهذا للتمكين»، وقد قام بـ الاحتلال «استقدام عدد كبير من الرهبان والمعلمين والأطباء، فالراهب ينشر النصرانية ويشكك المسلمين في عقيدتهم، والمعلم يفسد العقول ويبعد الأمة عن لغتها ويشوه التاريخ ويزهد في الدين، والطبيب يداوي علة بعلل، ويقتل جرثومة بجراثيم»، أما فظائع الاحتلال الفرنسي فقد سبق الحديث عنها في ترجمة ابن باديس.

وعقب عودته للجزائر تعاون الإبراهيمي مع ابن باديس في استكمال المشروع الذي بدأه لنشر العلم الديني واللغة العربية بحسب جلساتهما في المدينة المنورة، فبدأ الإبراهيمي بالتعليم في مدينة «سطيف»، وكانت له لقاءات دورية مع ابن باديس لمتابعة أخبار النشاط الإصلاحي وتأثيره على الشعب، يقول الإبراهيمي: «فنزن أعمالنا بالقسط، ونزن آثارها في الشعب بالعدل، ونبني على ذلك أمرنا، ونضع على الورق برامجنا للمستقبل بميزان لا يختل أبداً، وكنا نقرأ للحوادث، والمفاجآت حسابها، فكانت هذه السنوات العشر كلها إرهاصات لتأسيس جمعية العلماء الجزائريين»، يقول الإبراهيمي: «كان من نتائج الدراسات المتكررة للمجتمع الجزائري بيني وبين ابن باديس

منذ اجتماعنا بالمدينة المنورة (١٣٣١هـ - ١٩١٣م) أن البلاء المنصب على هذا الشعب المسكين آت من جهتين متعاونتين عليه، وبعبارة أوضح من استعمارين مشتركين يمتصان دمه ويتعرقان لحمه ويفسدان عليه دينه ودنياه:

١- استعمار مادي هو الاستعمار الفرنسي يعتمد على الحديد والنار.

٢- واستعمار روحاني يمثله مشائخ الطرق المؤثرون في الشعب، المتجرون بالدين، المتعاونون مع الاستعمار عن رضىً وطواعية... فكان من سداد الرأي وإحكام التدبير بيني وبين ابن باديس أن تبدأ الجمعية بمحاربة هذا الاستعمار الثاني».

وهذا كله يدل على أن ابن باديس والإبراهيمي كانا يتصفان بأعلى مهارات التخطيط الاستراتيجي، وكانا يضعان الخطة والخطة البديلة، ولم يكن عملهما ردة فعل، بل فعلا محسوبا ومقدرا، ولذلك يقول: «كانت الحكومة الفرنسية في ذلك الوقت تستهين بأعمال العالم المسلم، وتعتقد أننا لا نضطلع بالأعمال العظيمة، فخيبنا ظنها والحمد لله»، وهذه المنهجية الاستراتيجية المستقبلية ستتضح أكثر بعد رئاسته للجمعية وتوسع نشاطها.

وفي سنة ١٩٢٤ حثه ابن باديس على تأسيس جمعية «الإخاء العلمي» ورغم أنها كانت محاولة غير ناجحة، لكنها أكسبت الإبراهيمي خبرة وضع قانون جمعية العلماء المسلمين بعد عدة سنوات، والتي تأسست في سنة ١٩٣١ كردة فعل على الاحتفال المئوي لاحتلال فرنسا للجزائر، واختير الإبراهيمي نائبا لرئيسها ابن باديس، وأنيطت به مهمة الإشراف على نشاط الجمعية في الغرب الجزائري، فرحل إلى تلمسان العاصمة العلمية القديمة وسكن فيها.

ولذلك تعد هذه المرحلة (١٩٣١- ١٩٤٠) من عمر جمعية العلماء الجزائريين مرحلة تأسيس للثورة الجزائرية ضد فرنسا، فرغم أن الجمعية كانت تعلن عدم الاشتغال بالسياسة، إلا أن مطالب وأهداف الجمعية على الحقيقة «هي نصف الاستقلال» بتعبير الإبراهيمي.

في تلمسان سرعان ما نجح الإبراهيمي في إنشاء دار الحديث والتي ضمت مسجداً وقاعة للمحاضرات وأقساماً لطلبة العلم، والتي كانت أول مدرسة للجمعية تبنى بالكامل وليست مبنى مستأجراً أو قائماً، وقد شيدت على الطريقة الأندلسية، وحضر حفل افتتاحها ٣٠٠٠ شخص منهم ٧٠٠ من الضيوف على تلمسان في مقدمتهم ابن باديس.

وكان الإبراهيمي يلقي فيها عشرة دروس في اليوم، وبعد العشاء يقدم محاضرة في أحد النوادي عن التاريخ الإسلامي، هكذا كان الإبراهيمي يفهم منهج التربية والتعليم!!

ذلك كله والإبراهيمي عرضة لكثير من المضايقات من الفرنسيين، ولذلك كان يتظاهر بالعمل بالتجارة حتى يبعد أنظار الاحتلال عن دروسه وطلابه.

فلما جاءت نذر الحرب العالمية الثانية يقول الإبراهيمي: «اجتمعت بالشيخ ابن باديس في داري بتلمسان، فقررنا ماذا نصنع إذا قامت الحرب، وقررنا من يخلفنا إذا قبض علينا، وقلبنا وجوه الرأي في الاحتمالات كلها، وقدرنا لكل حالة حكمها، وكتبنا بكل ما اتفقنا عليه نسختين».

وفعلاً فما نشبت الحرب سنة ١٩٤٠ إلا وصدر القرار بالإقامة الجبرية على ابن باديس ونفي الإبراهيمي إلى الصحراء الجنوبية بقرية آفلو، لأنه رفض أن يلقي أحاديث في الإذاعة لتأييد فرنسا في الحرب، وكان ابن باديس والإبراهيمي قد استبقا الأحداث بتعطيل جرائد الجمعية وجريدة الشهاب الخاصة بابن باديس حتى لا يتعرضا للضغط بتأييد فرنسا، فكان القرار «لتعطيل خير من نشر الأباطيل» في سنة ١٩٣٩.

وقد كتب ابن باديس للإبراهيمي حين علم بنفيه رسالة قال فيها:

«الأخ الكريم الأستاذ البشير الإبراهيمي -

سلمه الله -

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته وبعد

فقد بلغني موقفكم الشريف الجليل العادل فأقول لكم: (الآن يا عمر)[1].

فقد صنت العلم والدين، صانك الله وحفظك، وتَرِكَتَك، وعظّمتها عظّم الله قدرك في الدنيا والآخرة، وأعززتهما أعزك الله أمام التاريخ الصادق، وبيضت محيّاهما بيض الله محياك يوم لقائه، وثبتك على الصراط المستقيم، وجب أن تطالعني برغباتك، والله المستعان.

والسلام من أخيك عبد الحميد بن باديس».

وبعد أسبوع من نفيه توفي ابن باديس، فانتخبه إخوانه في الجمعية رئيساً للجمعية في غيبته، لكن لأنهم يعلمون مكانته ومنزلته، كما سبق أن انتخبوا ابن باديس رئيساً للجمعية عند تأسيسها في غيبته ودون علمه، فتولى إدارة الجمعية بالمراسلة من منفاه لثلاث سنوات حتى أفرج عنه سنة ١٩٤٣.

وقد كتب الشيخ العربي التبسي باسم إدارة الجمعية برقية تعزية للإبراهيمي بابن باديس وتنصيبه رئيسا للجمعية قال فيها: «... وإن إخوانك أعضاء الإدارة المجتمعين هنا بقسنطينة، قد أسندوا إليكم رئاسة الجمعية، كما أحلوك محل أخيك الراحل في إدارة الجمعية بقسنطينة، وبتولي الإشراف على ما هو للجمعية، وما أمكنها أن تتوصل إليه، على معنى أنك تحل محله في كل الأعمال العلمية والإدارية التي كان هو متوليها..»، وهذا يدل على مقدار مكانته عند أعضاء الجمعية، ومقدار إخلاص وتفاني بقية الأعضاء واحترامهم لرموزهم وقادتهم.

وفي ذلك المنفى لم ينقطع عن العلم والتعليم بقدر ما سمح له من لقاءات ومراسلات، وقد أنتج فيها بعض الأعمال العلمية والتي لم تنشر مثل: رواية الثلاثة وهي مسرحية شعرية في ٨٨١ بيتاً، وملحمة شعرية على وزن الرجز في ٣٦ ألف بيت، ورسالة الضب.

المحطة الثالثة: بعد إطلاق سراحه في أوائل سنة ١٩٤٣، وضع تحت المراقبة الإدارية حتى انتهت الحرب العالمية الثانية، فانتقل الإبراهيمي إلى العاصمة الجزائر ليتولى إدارة الجمعية مباشرة، ورعاية مدارسها الحرة، ومساجدها الحرة التي لا تتبع للاحتلال، والنوادي والصحف.

فعمل على تنشيط إنشاء مدارس للجمعية جديدة، فأنشأ بدعم من الشعب في سنة واحدة ٧٣ مدرسة بتصميم موحد، في رسالة «للأجيال أنها نتاج فكرة واحدة»، وتواصلت المسيرة حتى بلغ عدد المدارس التابعة للجمعية ٤٠٠ مدرسة فيها مئات الآلاف من الطلبة بنين وبنات، ويعلّم فيها أكثر من ألف ومئتي معلم، حتى بلغت ميزانية مدارس الجمعية لوحدها في سنة ١٩٥٢ مئة مليون فرنك فرنسي.

ولم يمض على رجوعه من المنفي بضعة سنوات حتى سيق الإبراهيمي للسجن مرة أخرى ضمن ٧٠ ألف جزائري أغلبهم من أتباع الجمعية فضلاً عن ٦٠ ألف قتيل جزائري، قتلتهم فرنسا في ثورة مدبرة لعقاب الشعب الجزائري سنة ١٩٤٥م، وبقي في السجن قرابة السنة، لقي فيها أهوالاً ومتاعب شديدة، ونقل للمستشفى عدة مرات خلالها.

وخرج من السجن بعزيمة قوية، فأعاد المدارس والاجتماعات والمجلات التابعة للجمعية، وفرعها في باريس، فتولى إدارة مجلة البصائر مع إدارته للجمعية، وكان على طريقة رشيد رضا في مجلة المنار فيقوم بكل أعمال المجلة من كتابة ومراجعة، رغم سفراته المتعددة في داخل الجزائر لمتابعة فروع الجمعية ومدارسها، حتى كان يمر عليه عدة ليال لا ينام فيها!!

وقام بتأسيس (لجنة التعليم العليا) لوضع برنامج

---

(١) يقصد قول عمر الذي رواه المصنف في «الأيمان والنذور» أن عمر بن الخطاب قال للنبي ﷺ: «لأنت يا رسول الله أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي. فقال: لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك. فقال له عمر: فإنك الآن والله أحب إلي من نفسي. فقال: الآن يا عمر».

التعليم ومتابعة تطبيقه في مدارس الجمعية، فكان نتاج هذه الجهود العظيمة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين أن أصبح هناك عشرات الآلاف من الطلبة الذين أنهوا المرحلة الابتدائية ويطلبون الزيادة في العلم، ولذلك خطت جمعية العلماء في سنة ١٩٤٨م خطوة رائدة في مجال التربية والتعليم بافتتاح «معهد عبد الحميد بن باديس» للتعليم الثانوي في قسنطينة وذلك اعترافاً بفضل ابن باديس، وكان الطلاب قبل ذلك يوفدون إلى «الزيتونة» بتونس و«القرويين» بفاس، وكانت أولى البعثات العلمية الجزائرية إلى الجامعات في المشرق العربي من خريجي معهد ابن باديس.

وبلغ عدد طلاب المعهد في السنة الأولى أكثر من ألف طالب من مختلف مناطق الجزائر، وكان يتبع المعهد سكن يستوعب ٧٠٠ طالب، وهو مجهز بالكامل من أسرة ودواليب ومطابخ ومرافق صحية.

وقد تنبه الإبراهيمي لضرورة حماية هذا المعهد من عدوان الاحتلال الفرنسي، فطلب من شيخ جامع الزيتونة الطاهر بن عاشور أن يكون معهد ابن باديس تابعا لجامع الزيتونة، فوافق وكتب لهم خطاباً رسميا بذلك.

والذي تولى التنسيق مع شيخ الزيتونة هي جمعية الطلبة الجزائريين بالزيتونة، والذين هم مبتعثون من جمعية العلماء الجزائريين، وهذا جانب آخر من نشاطات الجمعية واهتمامات الإبراهيمي، والذي كان يرسل الطلبة لإكمال دراستهم ويتابعهم ويحثهم على تكوين هيئات ومؤسسات لهم تحفظهم وتقويهم.

وأيضاً تابع الإبراهيمي مراكز الجمعية وفروعها بفرنسا والتي كانت أول مراكز إسلامية في أوروبا، والتي تعطلت بسبب الحرب العالمية، فأوفدت الجمعية سنة ١٩٤٧ مراقبها العام الشيخ سعيد صالحي إلى فرنسا «ليدرس الأحوال ويمهد الأمور»، وسرعان ما عاد النشاط وتوسع ولم يقتصر على العمال الجزائريين بل شمل حتى طلبة الكليات بفرنسا من أبناء الجزائر.

واهتمام الإبراهيمي بالجزائر لم يصرفه عن متابعة قضايا المسلمين، ولذلك نجده في سنة ١٩٤٨م عضواً في جمعية إعانة فلسطين مع قادة الجزائر، فجمعت التبرعات وأوفدت حوالي ١٠٠ مجاهد إلى فلسطين، والعديد من البرقيات لنصرة فلسطين للجهات الدولية والعربية، وقام الإبراهيمي بكتابة الكثير من المقالات في القضية الفلسطينية.

ولم تتوقف مكائد الإدارة الفرنسية ضد الجمعية، مما استدعى سفر الإبراهيمي لفرنسا سنة ١٩٥٠ لبحث قضيتين، قضية رفع يد الحكومة الفرنسية عن القضايا الدينية الإسلامية وحرية التعليم العربي للجزائريين، لأن فرنسا ترفع راية العلمانية، ومع ذلك فالصلاة والحج والإفتاء والوقف كله يخضع لفرنسا!!

ولبحث قضية حق الجزائريين في فرنسا بتعلم دينهم ولغتهم في فروع الجمعية بفرنسا، والتي سبق أن تأسست في عهد ابن باديس سنة ١٩٣٦ حين زار فرنسا بصحبة الإبراهيمي، وكانت له لقاءات بالجالية الجزائرية ومحاضرات.

وقد زار الإبراهيمي فرنسا مرة ثانية سنة ١٩٥٢ لحضور اجتماع الدورة السادسة للجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة، واللقاء بالوفود المشاركة، ولذلك استضاف الوفود العربية وشرح لهم مأساة الجزائر على مأدبة عشاء في فرع الجمعية بباريس.

ومن عناية الإبراهيمي بفرع الجمعية بباريس أنه رشح الشيخ الربيع بوشامة للسفر لباريس وتولي العمل هناك قبل سفره للمشرق، لأن الربيع سبق له العمل في فرع باريس من قبل ولأهمية دور مكتب باريس.

ولأن الإبراهيمي رجل استراتيجي من الطراز الرفيع فقد تنبه لضرورة البحث عن مستقبل جهود جمعية العلماء الجزائريين، كي يحافظ على مئات المدارس الموجودة والتي تضم آلاف الطلبة والذين يحتاجون إلى نفقات كبيرة لا يمكن للجزائريين وحدهم توفيرها، كما أن الطلبة الذين لم تشملهم مدارس الجميعة هم أضعاف مضاعفة، وكان

الإبراهيمي يعرف أن الاحتلال ينتظر اللحظة التي تصل فيها الجمعية لمرحلة العجز المالي فيتوقف عملها دون تدخل منه، وبذلك ينهار المشروع الإصلاحي كاملا وتعود الجزائر لمرحلة الضياع.

وقد قدر الإبراهيمي ورفاقه حاجة الجزائر في السنوات الخمس القادمة إلى ١٥٠ مدرسة ابتدائية على الأقل في كل سنة ليصل المجموع إلى ألف مدرسة، وثلاثة معاهد ثانوية للذكور ومعهدين، ومعهدين كبيرين للمعلمين ومعهد للمعلمات، أما رجال التعليم العالي فهذه تتكفل بها البعثات.

وتدارس الإبراهيمي ورفاقه في الجمعية وتوصلوا لضرورة طلب العون من الحكومات العربية بالدعم المالي وتقديم المنح للطلبة في بلدانهم، فتقرر سفر الإبراهيمي للمشرق العربي للتعريف بالجزائر ومشكلتها والبحث عن يد العون، فغادر سنة ١٩٥٢، ومكث ثلاث سنوات في هذا المسعي زار فيها مصر والسعودية والكويت والعراق والأردن وكانت سمعة الرجل قد سبقته، فكان، حيثما حلّ، مثار الإعجاب والاعتزاز ومحل الترحيب والإكرام.

وكانت الحصيلة بضعة عشر ألف جنيه مصري لا تبني مدرسة واحدة، ومائة منحة للطلبة الجزائريين لا تكفيهم منحهم مصاريف الحياة فينفق عليهم الإبراهيمي آلاف الجنيهات كل سنة!!

وخلال سفرته هذه قامت الثورة الجزائرية ولم يستطع الإبراهيمي العودة للجزائر، فاستقر بالقاهرة مشرفاً على مكتب «جمعية العلماء» ساهراً على البعثات العلمية الجزائرية إلى عواصم العالم العربي، وكان منزله بمصر الجديدة ملتقى العلماء والأدباء وقبلة طلبة العلم وأبناء الثورة الجزائرية وقادتها.

وكان الإبراهيمي موضع إجلال واحترام لسعة علمه وجهاده الكبير، فتوسط حين وقع الخلاف سنة ١٩٥٤ بين الإخوان المسلمين وجمال عبد الناصر، لكن لم تنجح محاولته؛ وبدأت مرحلة جديدة.

المحطة الرابعة: مع قيام الثورة ضد فرنسا بالجزائر في ١٩٥٤/١١/١، أصبحت مهمة الإبراهيمي الكبرى دعم الثورة والتحريض على نصرتها، فكان أول قائد جزائري يحتضن الثورة ويؤيدها، مما كان بمثابة الفتوى الشرعية بالنفير العام والجهاد بالمال والنفس والولد، وكان في طليعة من وقع على ميثاق جبهة تحرير الجزائر، لأن الإبراهيمي كان يعتقد أن الثورة هي النتيجة الطبيعية لجهود جمعية العلماء طيلة ثلاثين سنة بتعليم الشباب وبث المعرفة بينهم، إن مكانة الإبراهيمي في الثورة الجزائرية لا يمكن وصفها إلا بأنه «روح الثورة».

ولقد شهد رئيس الوفد العراقي في لأمم المتحدة د. فاضل الجمالي أن الإبراهيمي قال في كلمة له بمناسبة استقلال ليبيا في عام ١٩٥١: «إنّ الجزائر ستقوم قريبا بما يدهشكم من تضحيات وبطولات في سبيل نيل استقلالها، وإبراز شخصيتها العربية الإسلامية»، وذلك أنه كان يتلمس الانفجار الشعبي في أية لحظة.

وشارك الإبراهيمي في تأسيس مكتب المغرب العربي بالقاهرة والذي يضم تونس والمغرب والجزائر للتحرر من قبضة فرنسا، وافتتاح إذاعة صوت الجزائر من الإذاعة المصرية، وقد كان أول صوت يصدر من هذه الإذاعة هو صوت البشير الإبراهيمي مناديًا الثوار: «لا نسمع عنكم أنكم تراجعتم، أو تخاذلتم»، وأصبح الإبراهيمي لسان الثورة في المقابلات الصحفية والإذاعة المصرية والمنتديات والدول التي زارها داعيا لدعم الثورة، فالتقى بالملوك والرؤساء العرب والشعوب والعلماء والمفكرين، وحين زار باكستان لهذا الغرض أصيب بحادث سيارة وكسر عموده الفقري وألزمه الفراش شهوراً، فطلب أن لا ينشر خبر إصابته فتشمت فرنسا بالثورة الجزائرية.

ولدور الجمعية المحوري والهام في الثورة الجزائرية فقد كان أفراد الجمعية هم نواة جيش التحرير الجزائري، وقد أعلنت الجمعية بيانا رسمياً

عــن دعمهــا للثــورة في مجلتهــا (البــصائر) في عــدد ١٩٥٦/١/٧، فقــام الاحــتلال الفرنــسي بحــل الجمعيــة وسحب ترخيصها سنة ١٩٥٦م.

وقــد شــارك فــرع فرنــسا بــدعم الثــورة مــن خــلال تنظيـم الجاليـة المتواجـدة في فرنـسا وتأطيرهـا لـصالح الثورة.

وبقـي الإبراهيمـي في مـصر حتـى تحقـق الاسـتقلال وعــاد للجزائــر ســنة ١٩٦٢، وطيلــة تلــك الفــترة بقــي الإبراهيمـــي شـــعلة حمـــاس للإســـلام والعروبـــة والجزائــر، وشــارك مــع عــدد مــن العلمــاء والمفكــرين بعقـد نـدوة أسـبوعية فكريـة وثقافيـة بعنـوان نـدوة الأصـفياء، وتم تكريمـه بمنحـه عـضوية مجمـع اللغـة العربيــة بالقــاهرة ســنة ١٩٦١م، بعــد أن كــان عــضوا مراســلا منــذ ســنة ١٩٥٤، وســبق ذلــك أن كــان عــضوا مراسلا لمجمع اللغة العربية بدمشق منذ سنة ١٩٤٥.

أمـــا العنـــاوين الكـــبرى الـــتي عمـــل الإبراهيمـــي للــدفاع عنهــا فهــي: الــدين، اللغــة، الــوطن. واصــطدم مــن أجــل ذلــك بــالاحتلال والطــرق الــصوفية المتعاونــة معه، والمنبهرين بالغرب من المتفرنسين وغيرهم.

المحطـــة الخامـــسة: عــاد الإبراهيمـــي إلى بلـــده الجزائــر بعــد انتــصار الثــورة الجزائريــة وإعــلان الاســتقلال، وألقــى خطبــة أول جمعــة تقــام في جــامع «كتــشاوة» في العاصــمة وهــو المــسجد الــذي حولــه الاحــتلال الفرنــسي إلى كاتدرائيــة ضــمن سياســته بحــرب الإســلام وتنــصير الجزائــر، حيــث داهمــت الجيــوش الفرنــسية الجــامع يــوم جمعــة وهــو غــاص بالمـصلين، فاحتلتـه وحوّلتـه إلى كاتدرائيـة، فكانـت خطبتــه بمثابــة إنهــاء للمــشروع الفرنــسي بتنــصير الجزائــر، ولكــن بقــي الــصراع علــى هويــة الجزائــر ومكـــان الإســـلام فيهـــا بـــين الجمعيـــة وقـــادة جبهـــة التحريــر، وللأســف فــإن المعلومــات عــن الخــلاف بــين الإبراهيمـي والجمعيـة مـن جهـة، وقـادة جبهـة التحريـر من جهة أخرى ليست متوفرة وواضحة.

فعقـــب انتـــصار الثـــورة الجزائريـــة وقعـــت في صــفوفها خلافــات واســعة، لم يحــسمها إلا انحيــاز هــواري بومــدين رئــيس قيــادة الأركــان لأحمــد بــن بلــة وتنـصيبه رئيساً للجزائـر، ومـن هنـا حـصلت القطيعـة بــين الإبراهيمـــي والجمعيـــة بـــسبب **هـــوس بـــن بلـــة بـــالفكر الاشـــتراكي اليـــساري،** فحـــصلت القطيعـــة عنـدما اتهـم الابراهيمـي أحمـد بـن بلّـة بتغييـب الإسـلام عـن معـادلات القـرار الجزائـري وذكّـر بـن بلـة بـدور الإســلام في تحريــر الجزائــر والجزائــريين مــن ربقــة الاســتعمار الفرنــسي، وبــسبب هــذا التــصادم وضــع الإبراهيمـي تحـت الإقامـة الجبريـة وقطـع عنـه الراتـب الــشهري وبقــي كــذلك بــدون راتــب وتحــت الإقامــة الجبرية إلى وفاته.

فـلازم الإبراهيمـي بيتـه، لكـن الوفـود لم تنقطـع عـن زيارتـه، ومـع ذلـك فقـد كتـب الإبراهيمـي رسـالة لقـادة الجزائـر في سـنة ١٩٦٤ بـسبب تفـاقم الخلافـات فيمــا بيــنهم وبــسبب الانحــراف عــن مــنهج الإســلام الــذي عمــل في ســبيله طيلــة عمــره، فكتــب إلــيهم يقول:

بسم الله الرحمن الرحيم

كتـب الله لـي أن أعـيش حتـى اسـتقلال الجزائـر ويومئـــذ كنـــت أســـتطيع أن أواجـــه المنيّـــة مرتـــاح الـضمير، إذ تـراءى لـي أنـي سـلمت مـشعل الجهـاد في سـبيل الـدفاع عـن الإسـلام الحـق والنهـوض باللغـة- ذلـك الجهـاد الـذي كنـت أعـيش مـن أجلـه – إلى الـذين أخـذوا زمـام الحكـم في الـوطن ولـذلك قـررت أن ألتزم الصمت.

غـير أنـي أشـعر أمـام خطـورة الـساعة وفي هـذا اليـوم الـذي يـصادف الـذكرى الرابعـة والعـشرين لوفـاة الـشيخ عبـد الحميـد بـن بـاديس – رحمـه الله – أنّـه يجـب علـيّ أن أقطـع الـصمت، إن وطننـا يتـدحرج نحـو حـرب أهليـة طاحنـة ويتخـبط في أزمـة روحيـة لا نظـير لهـا ويواجـه مـشاكل اقتـصادية عـسيرة الحـل، ولكـنّ المـسؤولين فيمـا يبـدو لا يـدركون أن شـعبنا يطمـح قبـل كـل شـيئ إلى الوحـدة والـسلام والرفاهيـة وأن الأســس النظريــة الــتي يقيمــون عليهــا أعمــالهم يجـب أن تبعـث مـن صـميم جـذورنا العربيـة والإسـلامية لا من مذاهب أجنبيّة.

لقــد آن للمــسؤولين أن يــضربوا المثــل في النزاهــة

وألاّ يقيموا وزناً إلاّ للتضحية والكفاءة وأن تكون المصلحة العامة هي أساس الاعتبار عندهم، وقد آن أن يرجع إلى كلمة الأخوة التي أبتذلت –معناها الحق– وأن نعود إلى الشورى التي حرص عليها النبيّ ﷺ، وقد آن أن يحتشد أبناء الجزائر كي يشيّدوا جميعا مدينة تسودها العدالة والحرية، مدينة تقوم على تقوى من الله ورضوان .. إ.هـ

وفاته: وفي يوم الجمعة من ٢٠ محرّم سنة ١٣٨٥ هجرية الموافق لـ ٢١ مايو – أيّار سنة ١٩٦٥ توفي الإبراهيمي عن ستة وسبعين سنة في الجزائر ودفن في مقبرة «سيدي أمحمد» في جنازة مشهودة.

آثاره: للإبراهيمي خمسة عشر مؤلفاً في اللغة والأدب والدين ذكرها في ترجمته لنفسه، وفي حفل عضويته بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ولكن أكثرها فُقد.

وقد جمع هو وبعض أحبابه تراثه في أربعة مجلدات، منها كتاب «عيون البصائر» وهو ما جمعه الإبراهيمي من مقالاته الافتتاحية بجريدة «البصائر».

بعض من كلماته:

❖ كيف يشقى المسلمون وعندهم القرآن الذي أسعد سلفهم؟ أم كيف يتفرقون ويضلون وعندهم الكتاب الذي جمع أولهم على التقوى؟ فلو أنهم اتبعوا القرآن وأقاموا القرآن لما سخر منهم الزمان وأنزلهم منزلة الضعة والهوان. ولكن الأولين آمنوا فأمنوا واتبعوا فارتفعوا، ونحن فقد آمنا إيماناً معلولاً، واتبعنا اتباعاً مدخولاً، وكل يجني عواقب ما زرع.

❖ تدبر القرآن واتباعه هما فرق ما بين أول الأمة وآخرها وإنه لفرق هائل، فعدم التدبر أفقدنا العلم، وعدم الاتباع أفقدنا العمل. وإننا لانتعش من هذه الكبوة إلا بالرجوع إلى فهم القرآن واتباعه. ولا نفلح حتى نؤمن ونعمل الصالحات. (فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون).

❖ أسوأ ما وقع فيه دعاة الثقافة الغربية من عيوب هو الجهل المطبق بحقائق الإسلام، وأن أسوأ ما وقع فيه أنصار الثقافة الإسلامية هو الجهل المطبق بمشاكل العصر ومستلزماته.

❖ إن الأوطان تجمع الأبدان، وإن اللغات تجمع الألسنة، وإنما الذي يجمع الأرواح ويؤلفها ويصل بين نكرات القلوب فيعرّفها هو الدين، فلا تلتمسوا الوحدة في الآفاق الضيقة ولكن التمسوها في الدين والتمسوها من القرآن تجدوا الأفق أوسع.

❖ إذا كان الإسلام دينا وسياسة، فجمعية العلماء دينية وسياسية، قضية مقنعة لا تحتاج لسؤال وجواب، وجمعية العلماء ترى أن العالِم الديني إذا لم يكن عالما بالسياسة ولا عاملا بها، فليس بعالم، وإذا تخلى العالم الديني عن السياسة فمن يصرفها و يديرها.

❖ وإنك لتسمع بعض الألسنة التي تترجم عن قلوب جاهلة أو مريضة تردد هذا السؤال: ما معنى مشاركة العلماء في مؤتمر سياسي؟ كأنهم يريدون تخويفنا بهذا الغول الموهوم «غول السياسة» وتفويت الفرصة علينا بمثل هذه الترهات، وكم أضاعت هذه الترهات على الغافلين من فرص؟

❖ إنّنا نجتمع مع الوهابيين في الطريق الجامعة من سنة رسول الله ﷺ ونُنكر عليهم غلوّهم في الحقِّ، كما أنكرنا عليكم غلوّكم في الباطل، فقعوا أو طيروا، فما ذلك بضائرنا، وما هو بنافعكم.

مراجع للتوسع:

١- في قلب المعركة، محمد البشير الإبراهيمي، شركة دار الأمة، الجزائر، ط١، ٢٠٠٧.

٢- الإبراهيمي ونضال الكلمة، د. محمد زرمان، دار الأعلام، الأردن، ط ١، ٢٠١٠.

٣- الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه، شركة دار الأمة، الجزائر، ط٢، ٢٠٠٧.

٤- البشير الإبراهيمي نضاله وأدبه، محمد مهداوي، دار الفكر، سورية، ط١، ١٩٨٨.

من سير الخالدين بأقلامهم، حسن سويدان، دار القادري، سورية، ط١، ١٩٩٨.

صفحات من تاريخ حركة الحشاشين (٢) جرائمهم.. المواجهة الفكرية

نوفل الجبلي(*) - خاص بـ «الراصد»

تمهيد

ظهرت الدعوة الباطنية في بلاد فارس وأذربيجان وقزوين بعد أن أحكم مؤسسها (الحسن بن الصبّاح)[1] السيطرة على قلاعها المنيعة، أبرزها قلعة ألموت في العام ٤٨٣هـ[2].

وأخذ بالتوسع عسكرياً عن طريق المليشيات التي كان يرسلها للسيطرة على القرى المجاورة لهذه القلاع، وانتشرت عقيدته فكرياً عن طريق الدعاة الذين عبّأ رؤوسهم بشبهاته ومن ثم انتشروا يبشّرون بهذه العقائد الفاسدة..

كل هذا كان في عهد ضعف الخلافة العباسية، وسطوع نجم الدولة السلجوقية، التي أدرك سلاطينها ووزراؤها خطر المد الباطني، وتكفّلوا بمحاربة أفكارهم، واستئصال جذورهم..

عملت الدولة السلجوقية – وهي ذات الأيديولوجيا السنية- على مقارعة الحشاشين بالحجة والبرهان، وبالسيف والسِّنان؛ وكان لهم الفضل بعد الله جل وعلا في إضعاف حركة الحشاشين رغم الجرائم النكراء والاغتيالات المنظَّمة التي قادها الحشاشون ضد قادة الدولة السلجوقية ..

وسنستعرض في هذا المقال طرفاً من جرائمهم واغتيالاتهم، وكيف واجه سلاطين السلاجقة مدهم الشيعي فكرياً..

انتشارهم .. جرائمهم

لم يمضِ وقتٌ طويل حتى استولى الحسن بن الصبّاح على المنطقة الواقعة جنوب قزوين برمّتها، بعد أن سيطر على القلاع المتناثرة في أرجائها، والتي تبلغ نحو الستين قلعة، وكانت هذه القلاع تقع في الغالب وسط وديان صالحة للزراعة وبالقرب من موارد ثابتة للمياه[3].

وبسيطرة الحشاشين على هذه المناطق السنية استفحل الداء، وكَثُر البلاء، واشتدّت المحنة؛ فقد استباحوا الدماء، وهتكوا الأعراض، ونهبوا الأموال. وقد قرّر ذلك المؤرخون في كتبهم، حيث نقل الذهبي في كتابه (العبر في خبر من غبر): «وفي هذا الوقت كَثُرت الباطنية بالعراق والجبل، وزعيمهم الحسن بن الصبَّاح، فملكوا القلاع، وقطعوا السبل، وأهمّ الناس شأنهم،

(*) باحث يمني.

(١) انظر صفحات من تاريخ الحشاشين (١)، في العدد السابق من مجلة الراصد.

(٢) البداية والنهاية، لابن كثير، ط دار الفكر (١٥٩/١٢).

(٣) دولة السلاجقة، للدكتور علي الصلابي (ص ١٢٠).

واستفحل أمرهم..»[1].

وقال المقريزي: «لما كانت أيام المستنصر وفد إليه الحسن بن الصباح، فأشاع هذا المذهب في الأقطار ودعا الكافة إليه، واستباح الدماء بمخالفته؛ فاشتد النكير، وكثر الصائح عليهم من كل ناحية حتى أخرجوهم عن الإسلام ونفوهم عن الملة..»[2].

ورافق توسع الحشاشين جرائم لم يعهدها أهل الإسلام من قبل، أساسها الغدر والخيانة، ومنبعها خُبث النفس وسوء الدِّيانة؛ فقد جعلوا من شبابهم أداةً للاغتيال والقتل، وربّوا في نفوسهم روح الجريمة، ونمّوا فيهم طَبْع الرذيلة ..

لقد كان اغتيال الشخصيات الهامة والقائمة بالأمر والنهي في دولة السلاجقة أبرز مهماتهم:

حيث سقط الكثير من فضلاء الدولة ومسؤوليها شهداء على أيادي الغدر من جنود الحشاشين، وفيما يلي ذكر لأسماء وأوصاف أهم الشخصيات، وذكر لكيفية وقوع هذه الحوادث:

الوزير السلجوقي نظام الملك: ترجم له الذهبي بقوله: «الوزير الكبير، قِوامُ الدين، أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي، سائس خبير، سعيد متدين، عامر المجلس بالقراء والفقهاء.. رغّب في العلم، وأدرّ على الطلبة الصلات، وأملى الحديث، وبَعُد صيته.. وخفّف المظالم، ورفق بالرعية، وبنى الوقوف...»[3]. وقال عنه ابن كثير: «من أحسن الملوك سيرة، وأجودهم سريرة..»[4].

ونستطيع القول إن الوزير نظام الملك كان حامل لواء العلم والتعليم، والراعي لمشاريع الإصلاح في الدولة السلجوقية على كافة الأصعدة: الإدارية التنظيمية، والاقتصادية والسياسية، والمنشآت المدنية والدينية والتعليمية ... كما امتدّ أثره الطيب إلى الخلافة العباسية حيث إنه أرجع مكانتها المرموقة، وقوّى من ضعفها، «فقد أعاد الناموس والهيبة على أحسن حالاتها»[5]. كما أنه كان صاحب دور هام وكبير جداً في محاربة الإسماعيلية والحشاشين ..

أما عن كيفية اغتياله: ففي عام ٤٨٥هـ من يوم الخميس، في العاشر من شهر رمضان عندما حان وقت الإفطار، صلّى نظام الملك المغرب، وجلس على السِّماط، وعنده خلق كثير من الفقهاء والقرّاء وأصحاب الحوائج، فجعل يذكر شَرَف المكان الذي نزلوه من أراضي نهاوند، وأخبار الوقعة التي كانت بين الفرس والمسلمين في زمان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ومن استشهد هناك من الأعيان، ويقول: طوبى لمن لحق بهم.

فلما فرغ من إفطاره، خرج من مكانه قاصداً مَضْرِب حَرَمه فبدر إليه حدَثٌ ديلميّ، كأنه مُستميح، أو مستغيث، فعلَق به، وضربه، وحُمِل إلى مضرب الحرم.

ويقال: إنه – أي نظام الملك- أول مقتول قتلته الإسماعيلية، فانبثّ الخبر في الجيش، وصاحت الأصوات، وجاء السلطان ملكشاه حين بلغه الخبر، مظهراً الحزن والنحيب والبكاء، وجلس عند نظام الملك ساعة، وهو يجودُ بنفسه، حتى مات، فعاش سعيداً، ومات شهيداً فقيداً حميداً. وكان قاتله قد تعثر بأطناب الخيمة، فلحقه مماليك نظام الملك وقتلوه.

(١) العبر في خبر من غبر، الذهبي (٢/ ٣٦٩).
(٢) اتعاظ الحنفاء، للمقريزي (٣١٩/١).
(٣) سير أعلام النبلاء، للذهبي (٩٤/١٩)، نقلاً عن دولة السلاجقة للدكتور الصلابي (ص١٢٥).
(٤) البداية والنهاية، لابن كثير (١٥٧/١٢). نقلاً عن دولة السلاجقة للدكتور الصلابي (ص١٢٥).
(٥) دولة السلاجقة للدكتور الصلابي (ص١٢٥).

وقال بعض خدامه: كان آخر كلام نظام الملك أن قال: لا تقتلوا قاتلي، فإني قد عفوت عنه وتشهد ومات[1].

وبهذا نفّذوا أول عملية اغتيال لشخصية سلجوقية هامة، ومن ثم توالت عملياتهم وتتابعت مستهدفين شخصيات أخرى، منها:

الأمير بلكابك سرمز: في عام ٤٩٣هـ، طعنه الباطنية بسكاكينهم غدراً فقتلوه.

الوزير أبو المحاسن عبد الجليل الدهستاني: في عام ٤٩٥هـ، عدا عليه شاب باطني وجرحه عدة جراحات مات بعدها.

الوزير فخر الملك أبو المظفر علي ابن نظام الملك: وذلك عام ٥٠٠هـ، تقدم إليه شاب من الباطنية وهو يتظلم وفي يده رقعة، وبينما كان يقرؤها الوزير وثب عليه ذلك الشاب بخنجر كان معه وقتله.

الوزير نظام الملك (أبو نصر): في عام ٥٠٣هـ ، وثب عليه جماعة من الباطنية وهو يؤدي الصلاة في الجامع وجرحوه عدة جراحات.

الأمير مودود: في عام ٥٠٧هـ، وثب عليه الباطنية بعد فراغه من أداء صلاة الجمعة في جامع دمشق وقتلوه.

الخليفة المسترشد بالله العباسي: في عام ٥٢٩هـ، هجم عليه بضعة عشر من الباطنية وطعنوه بالخناجر، ثم مثّلوا به..

الخليفة الراشد العباسي: في عام ٥٣٢هـ، اغتيل غدراً في أصبهان..

وعدد كثير من الأمراء والوزراء:

الأمير أحمد بن إبراهيم الروادي (٥١٠هـ)، الوزير الكمال أبو طالب السميرمي ٥١٦هـ، الأمير قسيم الدولة آقسنقر البرسقي (٥٢٠هـ)، الأمير تاج الملوك بوري بن طغتكين (٥٢٥هـ).. وغيرهم

والعديد من القضاة والفقهاء والوعاظ، من أبرزهم:

الفقيه أحمد بن الحسين البلخي (٤٩٤هـ)، والفقيه عبد اللطيف بن الخجندي (٥٢٣هـ)، والقاضي أبو العلاء مساعد النيسابوري (٤٩٩هـ)، والقاضي عبيد الله بن علي الخطيبي (٥٠٢هـ)، والواعظ أبو جعفر بن المشاط (٤٩٨هـ)، والواعظ أبو المظفر الخجندي (٤٩٦هـ) .. ومعظمهم قتلوهم في الجامع غدراً[2].

محاولة إقناعهم فكرياً ..

استمر الحشاشون يقومون بأعمالهم الإرهابية لمدة طويلة[3] حاول قادة السلاجقة خلالها تدارك خطرهم، وكان أول من واجههم السلطان السلجوقي ملكشاه؛ حيث بعَثَ إليهم الإمام أبو يوسف يعقوب بن سليمان أحد علماء أهل السنة لمناظرتهم، في محاولة منه لإقناعهم بالحجة والبرهان.

ذكر ابن كثير أن السلطان ملكشاه أرسل إلى الحسن بن الصبّاح «يتهدده وينهاه عن ذلك، وبعث إليه بفتاوى العُلَماء، فَلَمـا قَرأ الكتابَ بحَضْرَة الرسول قَال لمن حَولَهُ مِنَ الشَّباب: إنِّي أريدُ أن أرسِلَ منكم رسولًا إلى مولاهُ، فَاشْرَأَبَّتْ وجوه الحاضرين، ثم قال لشابٍ منهم: اقْتُلْ نَفْسَكَ! فَأَخرَجَ سكيناً فضربَ بهَا غَلْصَمَتَهُ فسقطَ ميتًا، وقال لآخرَ منهمْ: أَلْقِ نفسكَ من هذا الْمَوْضِعِ! فرمى نفسه من رأس القلعة إلى أسفل خَنْدَقِهَا فتقطع. ثم قال لرسول السلطان هذا الجوابُ.

(١) المصدر السابق (ص١٣٢، ١٣٣).

(٢) نقلاً عن كتاب دولة السلاجقة، للدكتور الصلابي (ص٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠)، ذكر جدولاً فيه أسماء الشخصيات كاملة ..

(٣) ذكر ابن الأثير أن مدة حكم الحسن بن الصباح استمرت لأكثر من ٢٦ سنة. الكامل، لابن الأثير (٤/٤٤١).

فَمِنْهَا امْتَنَعَ السُّلْطَانُ مِنْ مُرَاسَلَتِهِ»[1].

وكيف للحسن بن الصبّاح أن يقتنع بما قال الله عز وجلّ ورسوله – ﷺ- وقد امتلأ عقله بالشبهات، وتعبّأت نفسه بنزوات السيادة الدنيوية، وتشبّع فكره بشهوات القيادة والزعامة؟!

المواجهة الفكرية..

تمثلت مواجهة السلاجقة للباطنية فكرياً في عدة أمور، أهمها:

تصدي الإمام الغزالي لهم:

وذلك من خلال كتابه الشهير (فضائح الباطنية) والذي ألّفه بإيعاز من الخليفة المستظهر، وقد أظهر عوارهم، وكشف أسرارهم، وبيّن فضائحهم، وهو يمثل رداً علمياً وعقدياً مليئاً بالحجج والبراهين والأدلة على بطلان ما يعتقدون، وفساد ما يبطنون ..

إنشاء المدارس النظامية:

سُميت بالنظامية نسبةً إلى منشئها وهو الوزير الصالح نظام الملك، حيث أنشأ العديد من دور الثقافة والتعليم في مناطق مختلفة ومنتشرة منها: بغداد والموصل ونيسابور وأصفهان ومرو وبلخ وهراة، بل إن بعض الروايات التاريخية تشير إلى أنه أنشأ في كل مدينة عراقية وخراسانية مدرسة، تهدف إلى نشر العلم الصحيح والعقيدة السوية، وإلى مواجهة تيار التشيع المدعوم من الدولة الفاطمية، ولمدافعة الدعاة الذين تخرجوا من المدارس الشيعية في مصر؛ مدرستي الحكمة والأزهر، وجاءوا بالأفكار الشيعية ينشرونها في العراق والشام وفارس ..

كان لا بد من حراك فكري وثقافي يحصِّن الأمة، ويحمي أبناءها، وخصوصاً بعد انتشار الشيعة - إسماعيلية أو إثنى عشرية- بفضل الدولة البويهية التي قامت قبل السلجوقية، وأسّست العديد من المدارس في البصرة والكرخ، وكان دعاة الشيعة يدرسون ويؤلفون وينشرون معتقداتهم في هذه الفترة.. فكانت المدارس النظامية خير بديل لكل هذه المؤسسات المفسدة.

لقد كانت المدارس النظامية على قدر كبير من التنظيم والإعداد، وتخرج منها الكثير من العلماء والدعاة والمصلحين على المذهب السني الشافعي، وأدت رسالتها ردحاً طويلاً من الزمن، ووصل خريجوها إلى أقطار مختلفة، ووصلوا إلى بلدان متنوعة، يقول أبو إسحاق الشيرازي وهو أول مدرس في المدارس النظامية: خرجت إلى خرسان فما بلغت بلدة ولا قرية إلا وكان قاضيها أو مفتيها أو خطيبها تلميذي أو من أصحابي[2].

وقفات مما سبق :

ها هو التاريخ يعيد نفسه بدقة عجيبة، فما أشبه اليوم بالبارحة؛ حشّاشو اليوم قتلوا وسفكوا واستباحوا الدماء في العراق وسوريا واليمن، على نفس خُطا سابقيهم يسيرون .. وهؤلاء لا يتغيرون بالتقادم، ولا ينفع معهم النصح والإرشاد، إلا من رحم ربي.

الفكر لا يزول إلا بالفكر، والعقيدة الفاسدة لا تمحوها إلا المعتقدات الصحيحة، والحرب الحقيقية هي حرب العقول والأقلام؛ لأنها لا تزول مع الأيام، فعلى أهل الحق تبيين ما لديهم بشتى الوسائل، فالحق أحق أن يُدعى إليه ..

إن مسئولي الدولة الصالحين صمام أمانها؛ لأنهم يقيمون المعوج، وينصحون الغافل، ويخافهم الأعداء ويخشاهم المتربص، ويجب على الحكّام أن يقربوا الصالحين منهم، ويشاوروهم في الأمر، ويعملوا بقولهم ..

(١) البداية والنهاية، لابن كثير، ط دار الفكر (١٢/١٥٩- ١٦٠).

(٢) طبقات الشافعية، للسبكي (٣/٨٩)، نقلاً عن دولة السلاجقة للدكتور الصلابي.



الراصد - العدد ١١١- رمضان ١٤٣٣هـ

أهمية دراسة التقسيمات الدينية في الغرب (١)

عامر عبد المنعم(*)

تعد الخريطة الدينية في الغرب من القضايا المهمة التي تحتاج إلى دراسة ومتابعة لكونها من العوامل الرئيسية التي تفسر ما نراه من سياسات الغرب تجاه العالم الإسلامي. وبدون فهم تكوينات المسيحية الغربية لا يمكن فهم منطلقات السياسة الغربية واستراتيجياتها، وهذا يؤدي بدوره إلى عدم القدرة على وضع استراتيجيات لمواجهة العدوان قائمة على أسس علمية وواقعية صحيحة.

الغرب ليس كيانا عقائديا واحدا، لقد انعكس التثليث في النصرانية الغربية على الأرض لتتحول إلى ثلاثة مذاهب رئيسية، وأدى هذا الانقسام إلى الخلافات والانشقاقات بين الغربيين عبر العصور، وساهم في تغيير الحدود الجغرافية وإنشاء التكوينات السياسية التي أسفرت في النهاية عن شكل الغرب المعاصر.

منذ اعتناق الإمبراطور الروماني قسطنطين للنصرانية في بداية القرن الرابع الميلادي لم تستقر النصرانية على مذهب واحد، لقد اختفت مذاهب وبرزت أخرى، وفقا لمعتقدات كل إمبراطور.

في البداية كانت الأريوسية هي المذهب الأكثر انتشارا، وهذا المذهب كان يرفض تأليه المسيح، ولكن بعد المجمع المسكوني الأول في ٢٠ مايو/ أيار ٣٢٥م الذي عقده الإمبراطور لتوحيد عقيدة الإمبراطورية حورب هذا المذهب وقضي عليه في أوروبا وبقي في شمال أفريقيا وفي شبه الجزيرة الأيبيرية (الأندلس)، و«شن الإمبراطور الأورثوذكسي ثيودوسيوس الأول حملة عنيفة سنة ٣٨٣ وسنة ٣٨٤ للقضاء على معاقل الأريوسية في النصف الشرقي من الإمبراطورية»(١).

وقد أرجع بعض المؤرخين دخول الإسلام إلى شمال أفريقيا والأندلس إلى تقبل الأريوسيين بما هو أقرب لمعتقدهم، لقد «كانت النتيجة أن رحبت الكنائس الشرقية المخالفة بالفاتحين المسلمين الذين طرقوا بلادهم»(٢).

عندما فقد آخر إمبراطور روماني سلطته عام ٤٧٦م انقسمت الإمبراطورية إلى قسمين:

الإمبراطورية الشرقية والإمبراطورية الغربية، هذه الأخيرة استولى عليها رؤساء القبائل الجرمانية، وتقسمت إلى ممالك صغيرة، بينما بقيت الإمبراطورية الشرقية فيما يعرف بالإمبراطورية البيزنطية حتى عام ١٤٥٣م، حينما استولى العثمانيون على عاصمتها القسطنطينية (إسطنبول).

من المهم معرفة أنه «حين اعتنق قسطنطين

(*) كاتب وباحث مصري.

(١) نورمان ف. كانتور، التاريخ الوسيط: قصة حضارة البداية والنهاية، الجزء الأول، عين للدراسات والبحوث، القاهرة ٢٠٠٢م، ص ٧٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٧٨.

المسيحية لم يكن هناك أكثر من ١٠٪ من سكان نصف الإمبراطورية الغربي يدينون بالمسيحية، وبسبب الأرستقراطية الرومانية الوثنية، أرغم قسطنطين على بناء العاصمة المسيحية الجديدة التي عرفت باسم القسطنطينية في سنة ٣٣٠م»[١].

كانت الكاثوليكية هي ديانة الإمبراطورية، وكانت القيادة الكنسية تخضع للإمبراطور، وعندما انقسمت انقسمت معها الكنيسة إلى شرقية أرثوذكسية وغربية كاثوليكية. وبينما ظلت الكنيسة الشرقية خاضعة للإمبراطور البيزنطي قويت الكنيسة الرومانية اللاتينية الكاثوليكية وبدأت شيئا فشيئا تهيمن على مقاليد الأمور في الجزء الغربي من أوروبا.

«بطلوع شمس العقد الرابع من القرن الخامس لم يكن للإمبراطور الروماني في الغرب أي نفوذ خارج إيطاليا، وبدأت الممالك الجرمانية تظهر في غرب أوروبا، وفي العقد السابع من القرن الخامس، لم يعد يوجد في إيطاليا حاكم يحمل لقب الإمبراطور الروماني»[٢].

ومع ضعف الأباطرة وعجزهم عن التصدي لهجمات القبائل الجرمانية انتزعت الكنيسة القيادة في العصور الوسطى وجمعت بين السلطة السياسية والسلطة الدينية، واعتبرت نفسها بذلك المهيمنة على العالم كله والسلطة الوحيدة المخولة بتقديم مفهومها الوحيد عن الإيمان لجميع البشر.

واستمرت الهيمنة البابوية على أوروبا بضعة قرون إلى أن حدث الصدع والانشقاق مع ظهور البروتستانتية في القرن السادس عشر فانقسمت أوروبا الغربية إلى كاثوليك وبروتستانت، وبسبب الخلافات بين روما الكاثوليكية وبيزنطة

(١) المرجع السابق، ص ٧٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٨٤.

الأورثوذكسية سقطت القسطنطينية وفتحت أمام المسلمين حيث رفض الغرب التابع للبابوية أية مساعدة لإخوانهم البيزنطيين.

رغم وجود مذاهب مسيحية كثيرة فإننا نركز في هذا المقال على الفرق الثلاث التي تشكل المسيحية الغربية.

الطائفة الأولى: هم الكاثوليك الذين يخضعون لقيادة واحدة تتمثل في بابا الفاتيكان.

الطائفة الثانية: هم البروتستانت وأهم ما يميزهم أنهم لا يخضعون إلى كنيسة واحدة وهم فرق وكنائس كثيرة ومتعددة.

الطائفة الثالثة: هم الأورثوذكس وهم وسط بين الطائفتين السابقتين، إذ لكل دولة كنيسة يخضع لها الأتباع حسب الجنسية.

يتركز الكاثوليك بشكل أساسي في جنوب وشرق أوروبا وتعد فرنسا وإيطاليا وإسبانيا من قلاع الكاثوليكية في الغرب، وقد انتشرت الكاثوليكية بفعل الاستعمار والتبشير في أمريكا اللاتينية وأفريقيا جنوب الصحراء وآسيا.

يتركز البروتستانت في الجزء الغربي والشمالي من أوروبا وفي أمريكا الشمالية وأستراليا ونيوزيلندا. بينما يتركز الوجود الأورثوذكسي في روسيا واليونان وصربيا.

إن الخلافات بين هذه المذاهب ضاربة في عمق التاريخ، أهم هذه الخلافات، ما يتعلق بطبيعة الإله، فلم تتفق المذاهب النصرانية في العالم حتى الآن على طبيعة الإله الذي يعبدون، هل هو لاهوت أم ناسوت؟ أم الإثنان معا؟ وهل المشيئة لاهوتية أم ناسوتية؟ أم الإثنان معا؟ - تعالى الله عما يقولون- وحول هذه الأسئلة عقدت مجامع ومؤتمرات ووقعت خلافات وخصومات وأزهقت أرواح في صدامات ومحارق تمتلىء بها كتب التاريخ الأوربي.

ومن باب العلم بالشيء يمكن تلخيص أهم هذه الخلافات على النحو التالي:

يعتقد الكاثوليك أن للمسيح طبيعتين،

ومشيئتين، وأن الروح القدس منبثق من الأب والإبن.

ويعتقد الروم الأورثوذكس (القسطنطينية واليونان، وروسيا) أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين وأن الروح القدس منبثق من الأب فقط.

يعتقد البروتستانت بالطبيعتين والمشيئتين وبأن الروح القدس منبثق من الأب والإبن، مثل الكاثوليك، ولكن يختلفون عنهم في أنهم يرفضون سلطة البابا، ويرفضون الاعتراف على يد الكاهن، وأن مجرد الإيمان بالمسيح يكفي لتكفير خطاياهم ... وأمور أخرى تصب في مجملها في عدم وجود وسيط بينهم وبين الرب.

النسبة لسكان العالم

تزعم الإحصاءات الغربية المعلنة[1] أن نسبة الذين يعتنقون المسيحية ٣٣,٣ ٪ من مجموع سكان العالم البالغ ٦,٧٦٨ مليار نسمة، أي بما يزيد عن المليار نسمة، منهم ١٧ ٪ كاثوليك ويعتنق ٥,٨ ٪ من سكان العالم المذهب البروتستانتي، ويعتنق المذهب الأورثوذكسي ٣,٥٣ ٪ من سكان العالم.

إن إعادة قراءة هذه الأرقام تعطي دلالات مهمة تفيد عند دراسة خريطة الأديان في العالم، فمن المعروف أن المسيحية الغربية تختلف عن المسيحية في دول العالم الثالث، والعرق الغربي يختلف عن باقي الأعراق حتى المنتمين لمذهب واحد. من هنا فإن القول بأن ثلث سكان العالم مسيحيون وتابعون للغرب لا يمكن التسليم به.

إن مجموع سكان الغرب الذي يشمل أوروبا وأمريكا الشمالية وأستراليا ونيوزيلندا بما فيه من ديانات أخرى يبلغ أقل من ١٤٪ من سكان العالم.

الذي يزيد حصة المسيحية في مجموع سكان العالم هو ضم معتنقي النصرانية في أمريكا اللاتينية وأفريقيا وآسيا، ومن المعروف أن مواقف الشعوب في هذه الدول ليست مؤيدة للغرب.

من ضمن قائمة أكبر ١٠ دول بها مسيحيون في العالم من حيث عدد السكان توجد دول لا تنتمي للغرب ولا تحسب عليه مثل البرازيل (١٩٩ مليون نسمة، ٨٩٪ منهم مسيحيون) والمكسيك (١١١,٧ مليون نسمة، منهم ٨٥٪ مسيحيون) والفلبين (٩٨ مليون نسمة، منهم ٩٠ ٪ مسيحيون)، ودولتان معاديتان للغرب هما الصين (١,٣ مليار نسمة، منهم ٣٪ مسيحيون) وروسيا (١٤٠ مليون نسمة، منهم ١٥ : ٢٠٪ مسيحيون أورثوذكس، و ٢ ٪ كاثوليك، والباقي أقليات مختلفة).

خلافات في اللغة

تلعب اللغة دورا كبيرا في العلاقة بين الشعوب، وتقوم بدور فعال في تقوية الروابط والتواصل، وإذا ارتبطت اللغة بالعقيدة الدينية فإنها تعمل كآلية على نشر هذه العقيدة، هذا يحدث مع المذهب البروتستانتي دونا عن باقي المذاهب المسيحية. فالظاهرة الملفتة للنظر أن معظم الذين يعتنقون البروتستانتية يتحدثون الإنجليزية، حتى «كان الاقتناع بأن الحضارة الإنجليزية البروتستانتية تسمو فوق أية حضارة أخرى مرتبطاً بشكل وثيق مع فكرة أن الإنجليز هم شعب الله المختار، ففي الشؤون الدولية كان لهذا جانبان، فقد كانت حالة من يتحدى الرب يتحدى إنجلترا أو حالة من يتحدى إنجلترا إنما يتحدى الرب»[2].

ففي دول المحور البروتستانتي الأنجلوساكسوني: بريطانيا وأمريكا وكندا وأستراليا ونيوزيلندا تعتبر اللغة الإنجليزية هي اللغة الرسمية، وحيثما توجد الإنجليزية تجد المذهب البروتستانتي هو الغالب على مسيحيي هذا البلد، كل الدول التي استعمرتها بريطانيا وتتحدث الإنجليزية - كلغة رسمية- يغلب على المسيحيين بها المذهب البروتستانتي ولم يحدث تغير رغم حملات التبشير الكاثوليكي، وهذا موجود في جنوب أفريقيا، وغانا وكينيا.

بالنسبة للكتلة الكاثوليكية لا توجد لغة

---

(١) الكتاب السنوي للمخابرات الأمريكية ٢٠١٠ fact book.

(٢) الشعب المختار، الأسطورة التي شكلت إنجلترا وأمريكا، كليفورد لونجلي، الشروق الدولية، ٢٠٠٣، ص ٢٥.

موحدة وإنما لكل دولة اللغة الخاصة بها، ولم تستطع البابوية أن تفرض اللغة الإيطالية على باقي الكاثوليك، ونفس الحال مع معتنقي الأورثوذكسية إذ لا تجمعهم لغة واحدة، ولكل دولة لغتها الرسمية الخاصة بها.

التأثير الديني على التوجهات السياسية

يختلف تأثير الدين على التوجهات السياسية من مذهب لآخر، يبدو التأثير الديني في الدول البروتستانتية على النخب دون الشعوب، ويتجلى هذا في المواقف السياسية الداخلية والخارجية، وإذا أخذنا الولايات المتحدة نموذجا سنجد أن الدين يلعب دورا محوريا في تشكيل الحياة السياسية، وهو حاضر في المعارك الانتخابية، ويتصدر المتدينون المشهد السياسي. وسنلمس أيضا أن القضايا الاجتماعية التي تستقطب اهتمام الجمهور هي القضايا ذات البعد الديني مثل الموقف من الإجهاض وتدريس الدين في المدارس والدعم الحكومي للجمعيات الدينية، وتدريس نظرية داروين.

وفي الجانب الكاثوليكي فإن الالتزام الديني يبدو واضحا لدى المفكرين والأكاديميين والقادة السياسيين، ويكاد يختفي عند الشعوب، ويسيطر التعصب على قطاعات واسعة من المفكرين والأكاديميين والقادة السياسيين، فهم الذين يظهرون المواقف العدائية تجاه الإسلام، والتعصب هنا له بعد ثقافي وتاريخي وعقدي وغير مرتبط بالتدين الشخصي لأي منهم، كما أن الدين لا يظهر في الحياة السياسية والمعارك الانتخابية.

أما في الكتلة الأورثوذكسية فإن الالتزام الديني يأخذ بعدا شعبيا، ويتراجع دوره نخبويا ويغيب عن القيادة السياسية، وهذا التدين الشعبي هو الذي دفع حكومات هذه الدول حتى وهي شيوعية إلى التحرك والدفاع عن قضايا مرتبطة بالوجود الأورثوذكسي، خاصة في البلقان. وتبدو روسيا وكأنها حامية الأورثوذكس، إذ رغم الشيوعية فإن موسكو ترى نفسها روما الثالثة فنراها تتحرك بقوة دفاعا عن القضايا الأورثوذكسية فتقف بجانب اليونان والصرب سواء على الأرض أو في المحافل الدولية.

الالتزام الديني

تصور الغربيين للدين يختلف عن تصور المسلمين، ونفس الأمر بالنسبة للتدين الشخصي، عدم تبين نقاط الاختلاف يجعل البعض يفهم أشياء على غير حقيقتها، وبالتالي يصل إلى استنتاجات لا تكون دقيقة. وأيضاً لا يمكن أن ننظر إلى صورة الدين والتدين على أنها صورة واحدة في الغرب، فالصورة في أوروبا تختلف عنها في أمريكا وتدين الكاثوليك في أوروبا يختلف عن تدين الكاثوليك في أمريكا وإن كانت السمة الغالبة هي المظهرية. ويختلف الموقف من الدين عند السياسيين في أوروبا عنه عند السياسيين في أمريكا، وحالة الارتداد عن المسيحية في أوروبا تختلف عنها في أمريكا.

تختلف حالة التدين في الكيانات الثلاثة وفقا لتصور كل مذهب، ويمكن القول أن الأورثوذكس هم أشد النصارى تعصبا للدين وهم أكثر المذاهب المسيحية ارتباطا بالكنائس، ويتمسك الأورثوذكس بكنائسهم بشكل ملفت، بخلاف المسيحيين في الدول الكاثوليكية والبروتستانتية، فالتدين في هذه الدول ضعيف ولم تعد الكنائس يزورها أحد. إن ظاهرة بيع الكنائس لا نراها في الدول الأورثوذكسية ولكنها موجودة ويعلن عنها دوما في الدول الكاثوليكية والبروتستانتية، حيث تتحول إلى متاحف ومتاجر ومساجد في بعض الأحيان.

إن «أكثر من ١٦٠٠ كنيسة، أي ١٠٪ من مجموع الكنائس في بريطانيا صنفت رسميا على أنها زائدة عن الحاجة.. في ألمانيا من المقرر إقفال أو إعادة إستعمال نحو ١٠٠ كنيسة لأغراض أخرى، إن عددا كبيرا تحول إلى مقاه أو قاعات حفلات موسيقية أو مستودعات أو شقق فخمة.. ثمة مدرسة سيرك في كنيسة القديس بولص السابقة في بريستول في إنجلترا، وقد غنت مادونا في باراديسو، وهي كنيسة قديمة تم تحويلها إلى ناد ليلي في

أمستردام. وفي روما، يطيب لرواد المطاعم تناول العشاء في ساكرو إي بروفانو، وهو مطعم شعبي في وسط المدينة داخل كنيسة، كما أعيد ترميم كنيسة القديسة مريم المتداعية في دبلن لتصبح مطعما فاخراً»[1].

لكن لا يمكن رصد التدين في هذه البلاد وفق مقاييسنا نحن المسلمين، أي بالتردد على الكنائس مثلا أو بأداء الشعائر وإن كان هذا مهما، لأن فكرة الدين في الغرب مختلفة، إذ أن الدين الغربي تم تبسيطه إلى درجة رفعت عنه التكاليف.

على سبيل المثال فإن فكرة الخلاص لم تعد تعني في البروتستانتية أكثر من حب المسيح، والبروتستانت يعتقدون أن «التبرير بالإيمان وليس بالأعمال» أي أن الخلاص يتم بمجرد الإيمان بيسوع، ولا يوجد أي تكاليف. ونظرية مارتن لوثر عن «الخلاص بالإيمان لا بالأعمال الصالحات قد قوضت دعائم سلطة رجال الكهنوت»[2] الذين كانوا يتربحون من كونهم وسطاء للمغفرة وتكفير الخطايا.

من هنا فإن الشخص يمكن أن يفعل كل الموبقات ويكون متدينا لأن المسيح كفر عنه الخطايا كما يعتقدون، بل إن مارتن لوثر يري أنه «عندما يغوينا الشيطان بإلحاح مزعج فقد يكون من الحكمة أن نستسلم لآرائه ونقترف ذنبا أو اثنين.. ولابد للمرء أن يقترف أحيانا ذنبا كراهية واحتقارا للشيطان حتى لا يعطيه الفرصة لكي يجعله يشعر بتأنيب الضمير على أشياء لا تستحق الذكر»[3].

وللحديث بقية..

(١) دور جديد للكنائس، نيوزويك الطبعة العربية، ٢٧ فبراير/ شباط ٢٠٠٧.

(٢) ويل ديورانت، قصة الحضارة، المجلد السادس، ص ٣١١.

(٣) المرجع السابق، ص ٣١٠.

الحداثيون وقراءة النص الشرعي (١)

د. عبد الله عمر الخطيب(*)

ما الحداثة؟

ما العلاقة بين الفضاء النصي للحداثة ونصوص الإسلام؟

هل الحداثة تناقض الإسلام (الأديان) وتفكّك معتقداتها المقدسة؟

كيف اشتغل الحداثيون العرب وفق مناهج النقد الحديث مع النص الشرعي؟

أسئلة حائرة، يقف الباحث العربي أمامها مندهشا من تعقيدات المختبر السردي؛ الذي يعجز غالبا في معالجتها وتحديد موقف مبني على ركائز نقدية واضحة.

في هذا المنتج الاستقرائي سأحاول أن أفكك شيئا من تداخلات العلاقة بين النص الشرعي؛ بخاصة القرآني، وآليات الحداثة ومناهجها، مستنطقا نصّين حداثيين تعاملا مع النص القرآني.

أما قبل .. يتماهى الخطاب النقدي العربي مع منجزات المناهج النقدية الغربية التي ظهرت مطلع القرن التاسع عشر في أوروبا، واستجابت الدراسات العربية النقدية الحديثة لزلزال الثورة النقدية التي ظهرت أواسط القرن العشرين في أوروبا أيضا، مفيدة من مناهجها النقدية التي توالت في الظهور على امتداد النصف الثاني من القرن العشرين، فالبنيوية والتفكيكية والسيميائية والنقد الثقافي والأسلوبية وما بعد البنيوية وغيرها من المناهج التي ابتكر أيقوناتها مفكرون أوروبيون من أمثال جوليا كريستيفا، وميخائيل باختين، وميشيل فوكو، ودسوسير، وتودوروف، ورولان بارت، وجيرار جينت، وغيرهم، أثرت في دراسات النقاد

(*) كاتب سعودي.

العرب التي استوردوها في كتاباتهم، وكانت قصة البداية من المغرب العربي عند طه عبد الرحمن، وعبدالله العروي، ومحمد أركون من الجزائر، وفي المشرق العربي عند أدونيس (سوري)، ونصر حامد أبو زيد (مصري)، وعبد الله الغذامي نموذجا ليبراليا من الجزيرة العربية.

هذه الإيقونات النقدية اصطدمت مع ما يعرف في النقد الأدبي بالثالوث المحرم أو المقدس «الجنس، الدين، السياسة»، ومع ما ألفه النقد العربي القديم من خصوصية النص الشرعي وأعراف الكتابة العربية في فنون شتى، وسلطة النص الفقهي! الذي يستمد عمقه السلطوي من سلطة السياسة إذا جاء خدمة لها. هذا التمازج بين محاذير الكتابة العربية وفق المناهج الغربية وتطلعات الفكر الغربي؛ مهد لتمرد منجز ثقافي يتجاهل المحاذير ويدفع بنفسه في أتون الفكر الغربي المستورد.

ولتجلية صورة الحداثة العربية، لا بد من الإجابة عن التساؤل الذي يطرق بوابة المدخل الاستقرائي ويسهم في الوصول لحقيقة الحداثة وما يمكن تسميتها باعتداء الثقافة على النص.

ما الحداثة؟

لم يستقر الدارسون على تحديد واضح لمفهوم الحداثة، ولا يهمني هنا التعريف بها لما في تعريفها من هدر لأسطر البحث، والغوص في تهويمات النقاد، التي ما برحت تتجاذب في تأطير الحداثة؛ اصطلاحا، وتفسيرا.

والأهم، ما الغاية التي جاءت بها الحداثة؟ وماذا تريد؟

«جاءت الحداثة بمشروعها الحضاري لتخلص الإنسان من أوهامه وتحرره من قيوده وتفسر الكون تفسيرا عقلانيا ذاتيا، ورأت الحداثة أن مثل هذا المشروع لا يتم ما لم يقطع الإنسان صلته بالماضي ويهتم باللحظة الراهنة العابرة، أي بالتجربة الإنسانية كما هي في لحظتها الآنية. وهكذا احتفت الحداثة بالصيرورة المستمرة المتشكلة أبدا وغير المستقرة على حال، لكنها أيضا كانت تسعى في المقابل إلى إرساء الثوابت القارة التي تحكم الإنسان وتحكم تجربته كما تحكم الصيرورة الثقافية فتفسر المتغيرات العابرة وتمنح مشروعية تبريرية عقلانية لحالة الفوضى التي تتسم بها التجربة الآنية. من هنا جاء التقابل الضدي بين الثابت والمتحول كإمكانية تفسير التناقض الواضح بين اللحظة العابرة والقانون الثابت الذي يتحكم بها ويمنحها نظاما مستقرا أبديا»[1].

فتولدت المنتجات النصية والسردية والقراءات التي ألقت الضوء على تراثنا القديم، بمحاولاتها تقويض نظام اللاعقل ونقد مفعولات اللامعقول وامتداداته المتجذرة في الاجتماع والسياسة والمعرفة، من خلال القراءة الجديدة للنصوص الدينية الإسلامية للتجديد في الفكر الإسلامي ليواكب حركة العلم والعقل معا.

هذا المشروع الحضاري لم ينحصر في مناهج النقد الأدبي التي تعالج النص بل هي جزء من مناحي الحياة التي شملتها الحداثة، فقد شملت المناحي الاجتماعية والسياسية والفكرية وفنون العمارة واعتمدت على المكتشفات الجديدة كافة علمية كانت أو فلسفية فكرية. فهي مظلة عامة تتشظى داخل نفسها لتكون ذاتها، فتتجزأ وتتعدد لتشكل صورة الحداثة الإنسانية القارية.

مؤاخذة : هذه الغاية الحداثية تنفك - كما لاحظنا مما سطر أعلاه – عن الموروث الحضاري للأمة، وتلغي المحمولات الفكرية والثقافية للعقل الجمعي العربي، متجاهلة أية خصوصية للنص المقدس عند المسلمين، وهنا يكمن الانعتاق عن هذا المشروع الأيديولوجي.

لماذا الحداثة؟

يلخص الحداثيون الحاجة للحداثة بفكرة

---

(١) ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٢م، ص ٢٢٤.

مؤداهـا أن الـدخول في الحداثـة العالميـة طوعـاً أو كرهـاً يتطلـب قطيعـة مـع كـثير مـن سـلوكيات الماضـي ومؤسـساته وقيمـه، الـتي لم تعـد متكيفـة مـع متطلبـات العـصر وحاجـات النـاس الحقيقيـة، فمعـايير عـصرنا وحاجـات الفـرد العربـي تقتـضي الانتقـال مـن اقتـصاد تـتحكم فيـه القـوانين الـشرعية إلى اقتـصاد تحكمـه قـوانين الـسوق المـضبوطة بمؤسـسات وضـعية، ومـن الحكـم الفـردي إلى دولـة القـانون، ومـن التفـاوت «الطبيعـي» بـين الرجـل والمـرأة والمـسلم وغـير المـسلم والمـسلم مـن «الفـرق غـير الناجيـة» إلى المـساواة بـين الجميـع في حقـوق المواطنـة وواجباتهـا، ومـن اضـطهاد الأقليـات إلى احـترام حقوقهـا تحـت طائلـة التـدخل الخـارجي، ومـن الاحتكـام إلى محكمـة النقـل إلى الاحتكـام إلى محكمـة العقـل، ومـن عـصر حقـوق الله إلى عـصر حقـوق الإنـسان، ومـن ثقافـة كراهيـة الآخـر إلى ثقافـة احترامـه وحـواره والتبـادل الاقتـصادي والثقـافي معـه، ومـن الاعتـصام الـديني إلى التـسامح الـديني بـل واحـترام الحـق في الاخـتلاف بمـا هـو درجـة أرقـى مـن مجـرد التـسامح، ومـن ثقافـة الـيقين إلى ثقافـة التـساؤل والـشك، ومـن ثقافة الحقيقة المطلقة إلى ثقافة الحقيقة النسبية.

مؤاخـذة : هـذه الـسبيل المعطلـة لـسلوك الماضـي ومـا ترسـخ في الذهنيـة العربيـة، تؤبـد بـالحبس علـى كـل مـوروث وأصـيل، وتحكـم بإلغـاء الواحـد الكلـي؛ لحـساب الـصفر المعـدم؛ مـا دام يفكـر، الـصفر أضـحى هنـا هـو الواحـد الكلـي لـه قيمتـه الحسابية؛ التي اقتنصها تحت مظلة الحرية الفردية.

الحداثـة الأدبيـة والخلـط مـع الحداثـة بمفهومهـا العام

لم تكـن الحداثـة الأدبيـة ومعالجـة الـنص الملفـوظ أو المـدون النـصي، هـو أسـاس الحداثـة، فكمـا سـبق ذكـره؛ فالحداثـة تغـيير لـنمط الكـون وطرائـق المعيـشة بعامـة، فالطـائرات والأبـراج والـصناعات الثقيلـة وعلـوم التكنولوجيـا حداثـة، والقـراءة المتطورة لعلوم اللغة والتفسير الجديد للمدون النصي حداثـة، وتفكيـك الـنص الفقهـي الإسـلامي حداثـة، ونظريـة مـوت المؤلـف للـنص المقـدس (الإنجيـل والتوراة) حداثة.

فالحداثـة الأدبيـة لم توجـد أصـالة لتـدمر الـنص الـشرعي، فهـي لهـا مناهجهـا النقديـة الـتي جـاءت لمعالجـة المـدون النـصي بعامـة، منهـا مـا هـو مقبـول ومنهـا مـا هـو مرفـوض فكـرة وجـزءا، وهـذا عائـد لآليـات المعالجـة النقديـة وأدواتهـا النـصية الموظفـة في المـنهج الواحـد، مـع اشـتراطنا علـى إبقـاء خـصوصية الـنص الـشرعي وحرمتـه، ورفـض أيـة محاولـة لإعـادة إنتاجه وفقا لهذه المناهج الحداثية.

إن المفكـرين الحـداثيين المعاصـرين الـذين يعتَـدُون علـى الـنص الـشرعي، ويـسعون لقمـع سـلطة الـنص الفقهـي لم يعتمـدوا علـى المنـاهج النقديـة الأدبيـة الحديثـة دومـاً، بـل اعتمـدوا غالبـا علـى قـراءة حداثيـة للـنص الـشرعي. وهـذه مـسألة مهمـة ينبغـي التنبـه إليها، وعدم إغفالها.

أسباب اتجاه الحداثيين العرب لهذا المنهج

أولاً: الانبهار من الحضارة الغربية

لـما قامـت الثـورة الـصناعية في فرنـسا، صـاحبَها حـراك أدبـي ونقـدي انقـض علـى الكلاسـيكية حـضارة ومجتمعـا، ونمـت مـذاهب أدبيـة واكبـت لغـة الانفتـاح، وروح العـصر، وملكـة التغـيير، جـاءت هـذه المذاهب بما سرع في التقـدم الحـضاري الغربـي (كمـا يـراه أصـحاب هـذا المـنهج)، مـن خـلال حريـة الكلمـة، وحريـة التعـبير، وحريـة الاعتقـاد، والتحـرر مـن هلاميـة المجتمـع، بحيـث أضـحى الفـرد الغربـي يمثـل أيقونـة مـستقلة متفـردة، تعتقـد، وتنتقـد، وتـبني مـا تـراه مـن خيـالات، دون قيـد أو رقيـب، فتاقـت أفكـار الحـداثيين لهـذه الـروح العـصرية، ورأوا في الحـضارة الغربيـة طريقـة سـهلة لتحقيـق مـآربهم، ونيلـهم حـريتهم أو مـا يـسمونها «اليوتوبيـا المفقـودة». **ولـما اسـتعادت الثـورة بريقهـا في روسـيا في مطلـع القـرن العـشرين، وقامـت الثـورة البلـشفية كـان الحـداثيون العـرب مـن أسـبق مـن ركـب مركـب الاشـتراكية والـشيوعية، والماركـسية، ولـما اجتاحـت الـشيوعية العـالم العربـي أواسـط الـستينيات أنتجـت فكـرا ماركـسيا يتبنـى**

العلمانية بمذاهبها اللادينية والفكرية.

ثانياً: الابتعاث

إن معظم الذين ابتعثوا للدراسة في أوروبا، أشرف عليهم أساتذة مستشرقون، نقلوا إليهم أفكارهم وآراءهم، وضمنها المبتعثون في أطروحاتهم الجامعية، وتبنوها مذهبا فكريا، ومنهجا لمعالجة النصوص الملفوظة، فوجد المستشرقون أن هذه الأدمغة العربية يمكنها اختراق الجدار الفكري والثقافي للعالم العربي والإسلامي، والتغلغل في الموروث الحضاري الإسلامي، دون إحداث ما يشير إلى مساهمة الغرب في هذا المفعول النشاطي، فتتحقق أهداف المستشرقين من خلال أبناء الدين واللغة.

ثالثاً: محاكاة الثورة على الكنيسة

نتيجة لممارسة الكنيسة القامعة للحريات والعدالة الاجتماعية، ثار الغربيون على تعاليمها وهيبتها القدسية، ومزقوا صكوك الغفران، وسلبوا الرهبان صلبانهم وما تحميه الصلبان من زعامة سلطوية للقس، والتفت الثائرون لنصوص الإنجيل وتفسيرات الرهبان للنص المقدس، وما كانت تحمله هذه التفاسير من إذلال للفرد، وإلغاء لنشاطه الفكري، وحصره في بوتقة القس ورحمته؛ التي يطل من خلالها على أتباعه من برج عاجي، فأخضعوا التفاسير اللاهوتية جميعها للنقض أو البحث أو التمحيص. كان هذا السلوك الجمعي الغربي يجد صداه في المشرق العربي المسلم عند الحداثيين الذين راحوا يقلدون هذا المسلك ويسيرون في هذه السبيل.

أقسام المتعاملين مع النص الشرعي

القسم الأول: دعاة التجديد المطلق

وهم يدعون إلى القطيعة المعرفية مع التراث العربي الإسلامي، ويريدون إبادة الموروث الحضاري والفكري للأمة على حساب تبني العصرنة في شتى مناحي الحياة، وتقبل الحداثة بكل اشتقاقاتها، سلبية كانت أو إيجابية، وضرورة تبني قيم الحداثة الغربية باعتبارها قيما إنسانية؛ وحدوية، ودون تحفظ، بحجة أن الإيجابي هو ما سيعتنقه المؤيدون له، والسلبي سيلفظه الناس بلا مبالاة، ولم يكن دافعهم هذا انتقاصهم من الأصالة فحسب بل لاقتناعهم أيضا بأن الجديد هو ما يواكب روح العصر. **وهؤلاء هم الحداثيون موضوع دراستنا.**

القسم الثاني: دعاة الانعكاف على القديم

وهم يقدسون الماضي لأنه يحمل حضارة الإسلام، وشهد ولادة دولته، وفتوحاته، وأنجب عظماء الفكر والطب والهندسة، وعرفت من خلاله المذاهب الفقهية الإسلامية التي سارت عليها الأجيال منذ قرون، ويتعللون بأن ما وصل منهم من مدونات نصية، لم تدع للمعاصرين مجالا للإبداع الإنساني، وساروا تحت مقولة «ما ترك الأول للآخر»، فيأبون التفكير في المعرفة الجديدة، ويرفضون كل جديد، وهؤلاء بلا منازعة يسكنون أطلالا في قفار بلا ماء.

القسم الثالث: التوسط بين الأصالة والمعاصرة

وهي حالة توازي بين الإفادة من الماضي المتسلح بالمتانة الأصولية، والتفسير المنضبط، والقراءة المعتدلة للنص الشرعي، ورفدها بعلوم التكنولوجيا المعاصرة، وتوظيف آليات البحث؛ من خلال أدوات حديثة يمكن أن تضفي عليها قيمة علمية عالية.

الحداثيون وقراءة النص الشرعي

القرآن نموذجا

هاجم الحداثيون المفسرين القدماء واتهموهم بالمشاركة في مؤامرة التستر على الاضطراب الذي حصل عند جمع القرآن، واقتصارهم في تفسيره على المعاني السطحية «فما عسى أن يكون موقف الباحث من هذه الظاهرة (يقصد ظاهرة إسقاط سور من القرآن الكريم من أبي بكر وعمر) لهو دليل على انعدام الحس النقدي عند السيوطي وأمثاله من المصنفين في عصر الجمود والانغلاق، فلقد انعدمت عندهم الرغبة في الاطلاع على خفايا

الأمور وحقائقها، وانعدام التوق إلى كشف المجهول والملتبس فلا أثر لأي شك أو توتر، كما مات لديهم الشعور بإمكانية خطأ المتقدمين، وبالخصوص إن كانوا من الأجيال الإسلامية الأولى»[١].

واستنادا إلى هذا الشعور بالدور المغلوط للمفسرين في معالجة آيات الذكر الحكيم، والتعمد الحاصل في إسقاط نصوص قرآنية، انطلق الحداثيون في نظرتهم للقرآن الكريم، على أنه منتج قابل لإخضاعه لمختبر سردي يعيد إنتاجه وقراءته، «إنَّ النص (القرآني) في حقيقته وجوهره منتج ثقافي؛ والمقصود بذلك أنَّه تشكل في الواقع والثقافة خلال فترة تزيد على العشرين عاما، وإذا كانت هذه الحقيقة تبدو بديهية ومتفقا عليها، فإنَّ الإيمان بوجود ميتافيزيقي سابق للنص يعود لكي يطمس هذه الحقيقة البديهية، ويعكّر من ثَمَّ إمكانية الفهم العلمي لظاهرة النص»[٢].

فأعلنوا صراحة عن مشروعهم في قراءة النص القرآني، وحددوا مساقات إعادة القراءة، بما يعطي مندوحة من الحرية الفكرية غير المرهونة بقداسة مسبقة، «إن ما ندعو إليه ... هو:

أ - مراجعة أصول الفكر الإسلامي الأولى.

ب - تفكيك تلك النصوص من النسق الذي ركبها فيه الضمير الإسلامي أو الاستشراقي، وذلك بوصلها بالحدث التاريخي والمحيط الجغرافي والنظام الاجتماعي – الثقافي والذهنية السائدة بوقتها؛ أي لابد من تفكيك النص الديني في إطار كل الملابسات العمرانية التي يمثل هو بدوره جانبا منها... إن المنهج الذي ندعو إلى تطبيقه في دراسة مصادر الفكر الإسلامي الأولى (قصد بها القرآن والسنة ورأي الصحابة والإجماع كما ذكر ذلك ص ٤٣ من المقال ذاته) إذن هو المنهج الأنثروبولوجي»[٣].

فعمدوا على إخضاع النص القرآني لكافة المناهج التحليلية، «بتتبع واستقراء مختلف كتابات المعاصرين الداعية إلى فهم كتاب الله في ضوء المناهج الحديثة لتحليل الخطاب، لا نكاد نجد قاسما مشتركا بين مختلف الكتابات سوى تلك الرغبة الجامحة لإسقاط أي نظرية على النص القرآني دون مراعاة مدى توافقها معه أو مجافاتها له، والدارسُ اليوم يستطيع أن يقرر...أنَّه ما من منهج أو نظرية معرفية ظهرت إلا انعكس صداها في الدرس القرآني»[٤].

والمبرر لهذا المسلك أن القرآن الكريم بحكم أزليته الربانية، يحتمل عدة وجوه للقراءة «لئن آثرنا تجاوز مصطلحي التفسير والتأويل إلى استعمال مصطلح القراءة، فلأن التعامل مع (النص التأسيسي) يحتمل نظريا بحكم أزليته عددا لا متناهيا من المعاني، فسمة الإطلاق فيه تجعله يستوعب قراءات»[٥].

إنَّ تناول النص القرآني بالدراسة وفق مناهج قراءة النصوص الأدبية كما تشكّلت في ثقافاتها الأصلية، يلغي - كما سبقت الإشارة - الفوارق بين النص الديني والأدبي، تمامًا كما قد يتجاهل الناقد الفوارق بين نص إعلامي ونص شعري مثلاً ولاءً لقالب منهجي معين. ويمكن ببساطة اكتشاف فروق جوهرية بين النص الديني - المحكم منه خصوصًا- والنص الأدبي، يتحتم على الدارس الموضوعي إدراكها ومراعاتها.

نماذج تطبيقية لمنتج الحداثيين والنص الشرعي

آثرت في هذه الدراسة التطبيقية التعامل مع منتجين حداثيين، الأول لمحمد أركون في كتابه

(١) علي حرب، نقد النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٩٥م، ص ٢١.

(٢) نصر أبو زيد، مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط ٢، ص ٢٤.

(٣) عبد المجيد الشرفي وآخرون، في قراءة النص الديني، بحث المنصف عبد الجليل، الدار التونسية للنشر، ط ٢، ١٩٩٥، ص ٤٢.

(٤) عبد الرزاق هرماس، القرآن الكريم ومناهج تحليل الخطاب، جامعة قطر، حولية كلية الشريعة، العدد ١٩، ١٤٢٢هـ، ص ٢٣.

(٥) قراءة النص الديني، مرجع سابق، ص ٩٤.

«القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني» وظف فيه مناهج النقد الأدبي؛ وبالأخص المنهج الألسني، والثاني لمحمد عابد الجابري؛ في كتابه «مدخل إلى القرآن الكريم»، وظف فيه القراءة الحداثية للنص القرآني، ليتمكن القارئ من إدراك التفاوت بين الطريقتين الحداثيتين في معالجة النصوص القرآنية.

أولاً: كتاب «القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني» لمحمد أركون

وظف أركون دراساته النقدية منذ مطلع السبعينيات من القرن العشرين لإعادة قراءة القرآن الكريم وتفسيره وفق مناهج النقد الأدبي الحديث، فنشر عدة دراسات نقدية وفق المنهج اللساني والسيميائي والتحليلي للقرآن الكريم، ثم نشر جميع دراساته في كتابه الموسوم «قراءات في القرآن» نشر سنة ١٩٨٢م في باريس، وصدرت منه عدة طبعات، ثم استل منه دراسات، وعمّق البحث فيها ونشرها في كتاب عنوانه «القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني» أعاد فيه قراءة لسانية لسورتي الفاتحة والكهف، وقد بين في مقدمة كتابه الأخير الغاية من الدراسة وفق هذه المناهج «تحليل الخطاب الديني أو تفكيكه يتم لا لتقديم معانيه الصحيحة وإبطال التفاسير الموروثة بل لإبراز الصفات اللسانية اللغوية وآلات العرض والاستقلال والإقناع والتبليغ والمقاصد المعنوية الخاصة بما أسميته الخطاب النبوي»[١]، ولا شك أن هذه الغاية سرعان ما تنهار في ثنايا الكتاب لينقلب الأمر إلى إقصاء متعمد للتفسير الموروث وتقصد إظهاره بصورة تشي بحماقة النص، وإعلاء القراءة الحداثية للقرآن وفق هذا المنهج؛ كما سنبين.

ثم عرَّف الخطاب النبوي بأنه النصوص المجموعة في الإنجيل والتوراة والقرآن كمفهوم يشير إلى البنية اللغوية والسيميائية للنصوص، وهذا الخطاب التلفيقي يوازي بين النصوص الواردة في هذه الكتب السماوية على أنها نصوص دينية ينبغي التعامل معها على مساحة واحدة من الرفض والقبول، وبالتالي إمكانية القول في آيات القرآن بدرجة ما يمكن القول به في نصوص التوراة والإنجيل.

وخشية من انقضاض القارئ على أركون فإنه انقض ابتداء على الفكر الإسلامي المعاصر، وسح عليه، مظهرا تفوق النظرة الأنثربولوجية على السائد من الفكر الإسلامي «إن الفكر الإسلامي بقي أبعد ما يكون عن ممارسة الفكر الانتربولوجي بالمعنى الواسع الذي ندعو إليه من العقل والثقافة والتفكير السائد في الغرب، ... فهو الذي يخرج العقل من التفكير داخل السياج الدوغمائي المغلق إلى التفكير على مستوى أوسع بكثير»[٢].

وسرعان ما يسقط أركون في شرك حقيقة ما يدعو إليه من إعادة إنتاج القراءة الحداثية للنص القرآني وفق ما يريد هو، ووفق نظرته للمعرفة «وإذا ما تم الإجماع على هذا التوجه المعرفي فلا بد أن نعيد النظر في جميع العقائد والسنن الدينية؛ عن طريق إعادة القراءة لما قدمه الخطاب الديني عامة، والخطاب النبوي الخاص بأهل الكتاب»[٣].

ويظل أركون في المقدمة محاولا أن يشرعن لمشروعه النقدي في إعادة القراءة القرآنية، ويدعو القارئ إلى عدم التسرع في الحكم بكفر دراسته، داعيا إياه إلى العودة لأسس المنهج اللساني والتفكيكي والسيولوجي ومعرفة قواعده «نلتمس هنا طفرة معرفية في تحليل الخطاب الديني عامة، وهذه الطفرة لا تمس العقيدة في محتواها وممارستها، وإنما تحيلها إلى مستوى أوسع

(١) محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ترجمة وتعليق هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٥، ص ٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٦ .

(٣) المرجع السابق، ص ٦.

ومنظومة معرفية أكثر تفتحا وأشمل إحاطة بما أضافته الحداثة العلمية من نظريات وشروح وتأويلات واكتشافات ووسائل إحقاق الحق والحقيقة، أقول ذلك لكيلا يسارع القراء المؤمنون إلى رفض القراءات التي أقترحها للقرآن لأنها خارجة عن إطار ما أسميته بالتفسير الموروث، وهناك من يكفر هذه القراءات بناء لا على ما فهمه واجتهد من إدراك مقاصد المؤلف ولكن على أساس ما غاب عن فكره ومعلوماته إذا كان لم يكتشف بعد تعاليم اللسانيات والسيميائيات والانتربولوجيا والسوسيولوجيا الدينية والثقافية وعلم النفس التاريخي»[1].

وقد غيب أركون عن ذاكرته أن واحدة من هذه المناهج كافية لنسف القداسة عن النص الديني وتجريده من حرمته، والتعامل معه على أساس ذاتي مجرد عن سلطة المرجع وقناع الأيدولوجيا «ومما يؤخذ على الدراسات السيميائية أن معظمها ينهج نهجا شكلانيا يستبعد المحددات الاجتماعية والثقافية، وبالتالي تقترب الدراسات السيميائية جدا من النهج البنيوي خاصة أنها كثيرا ما توظف المفردات السوسيرية **(ربما: السويسرية)** مثل العلامة **(ربما: العولمة)** واللغة والنظام»[2].

وقد عمل أركون في الفصل الأول من كتابه موضوع الدراسة على إقناع القارئ بأن النصوص القرآنية لاقت اعتراضا من معاندي مكة ونظروا للنص القرآني على أنه كذبة، فتحولت هذه المماحكة إلى هالة قدسية للخطاب الديني.

ثم تبنى نظرية جماليات التلقي التي تساوي بين العلامة اللغوية عند (النصارى) وعند المسلمين، على نحو لا يمكن أن نفصل في قداسة النصوص الدينية الثلاثة وعلى الأخص الإنجيل والقرآن «إن الشيء الذي يقابل يسوع المسيح في الإسلام هو القرآن بصفته الكتاب المقدس الذي يحتوي على كلام الله الموحى به، وأما يسوع المسيح بصفته تجسيدا لكلمة الله، فإنه يشبه المصحف الذي تجسد فيه كلام الله»[3].

ويرى الباحث أحمد بوعود أن النقد الأركوني يبني معطياته أولاً على ضرورة الفصل بين الظاهرة القرآنية والظاهرة الدينية، فالأولى يقصد بها القرآن كحدث شفهي يتعين دراسته وفق قراءة تزامنية أولاً قبل وصله بنا ثانياً، والثانية ضاربة بجذورها في التاريخ وملتبسة بالسياسة والأيدولوجيا. ودور الباحث هو الوعي بضرورة التمييز بين الظاهرتين حتى تسهل مقاربة ظاهرة الوحي وفق منهج أنثروبولوجي مثلث الأضلع هو الوحي، التاريخ والحقيقة. وهذا يتطلب زحزحته عن موقعه والدعوة إلى تشكيل لاهوت إسلامي تحريري يكون للإنسان دور فعّال فيه، ويقطع مع اللاهوت التقليدي الذي لا مكان فيه للإنسان، وهذه العملية لا تقتصر على ظاهرة الوحي الإسلامي فقط، بل تطال كذلك الظاهرة الدينية عامة التي عرفتها مجتمعات الكتاب.

وهنا تكمن جدة القراءة الأركونية التي من مقاصدها تأهيل المجتمعات الإسلامية لاستيعاب مكاسب الحداثة بدل اتخاذ موقف سلبي منها، منبهاً إلى ضرورة عزل الأنظمة اللاهوتية التي شكلها حماة المقدس والتي كان لها دور سلبي في التعامل مع الوحي عبر تحنيطه وقطعه عن مجاله التداولي الثقافي، ذلك أن القراءة الإيمانية حسب أركون لا تخدم القرآن الكريم ولا الفكر الإسلامي، ويجب أن يُخدمَ هذا النوع من الفكر من قبل باحثين مستقلين، عوض خدامه المتحمسين، وهم المستشرقون واللادينيون[4].

(١) المرجع السابق، ص ٧.

(٢) دليل الناقد الأدبي، مرجع سابق، ص ١٨٥.

(٣) القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، مرجع سابق، ص ٢٣.

(٤) هذا ملخص ما وصف به الباحث أحمد بوعود المنهج الألسني عند أركون في بحث بعنوان «أركون والمنهج الألسني»، نشر على موقع الحزب الديموقراطي الليبرالي العراقي. ثم نشره في كتاب «الظاهرة القرآنية عند محمد أركون» لم يتسن لي الحصول عليه.

موسوعة مصطلحات الشيعة (٢٥)
(حرف الهاء)

هيثم الكسواني(*) –خاص بالراصد

الهادي

أحد أعلام أهل البيت في زمانه، وهو: علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (٢١٢ - ٢٥٤هـ)، قال فيه الإمام ابن كثير في كتابه «البداية والنهاية»: «وقد كان عابدا زاهدا نقله المتوكل إلى سامرا فأقام بها أزيد من عشرين سنة بأشهر».

والهادي عند الشيعة الإثني عشرية هو عاشر الأئمة المعصومين (ويلقب كذلك بالنّقي)، ويُكنَّى بأبي الحسن الثالث، وكذلك بأبي الحسن الأخير تمييزاً بينه وبين غيره من الأئمة الذين يُكنّوْن أيضاً بهذه الكنية كعلي بن أبي طالب وعلي بن موسى الرضا.

ويقول الشيعة إن الهادي أصبح إماما معصوما، وعمره ثمانية أعوام، في نفس العام الذي توفي فيه والده، محمد بن علي الجواد، تاسع الأئمة المعصومين عند الشيعة. وقد دُفن الهادي في مدينة سامراء بالعراق.

ومن ضمن ما اخترعه الشيعة صلاةً أسموْها: «الصّلاة على الإمام عليّ بن محمّد الهادي (عليه السّلام)، وقد جاء نصّها في كتاب بحار الأنوار للمجلسي، وهو: «اللّهم صلِّ على عليِّ بْنِ محمَّد، وَصِيِّ الأوصياءِ، وإمامِ الأتقياءِ، وخلَفِ أئمّةِ الدّينِ، والحُجَّةِ على الخَلائقِ أجمعينَ .اللّهم كما جعلْتَهُ نُوراً يستضيءُ به المؤمنون،.. فصلِّ عليهِ أفضلَ ما صلَّيْتَ على أحَدٍ مِن أوليائكَ وذُرِّيةِ أنبيائِك، يا إلهَ العالَمين».

كما وضعوا لزيارة قبره طقوسا، منها قولهم: «.. ثمّ تدخل مقدّماً رجلك اليمنى وتقف على ضريح الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) مستقبل القبر ومستدبر القبلة وتقول مائة مرّة الله أكبرُ وتقول: السَّلامُ عليْكَ يا أبا الحسَنِ عَلِيَّ بْنَ مُحمَّد الزَّكِيُّ الرّاشِدُ النُّورُ الثّاقِبُ ورحمَةُ اللّهِ وبركاتُه، السَّلامُ عليك يا صَفِيَّ اللّهِ، السَّلامُ عليك يا سِرَّ اللّهِ، السّلامُ عليك يا حَبْلَ اللّهِ، اَلسَّلامُ عليك يا آلَ اللّهِ، السَّلامُ عليكَ يا خِيرة اللّهِ، السَّلامُ عليكَ يا صفوْةَ اللّهِ، السَّلامُ عليكَ يا أمينَ اللّه،..».

ويبين الباحث الشيعي أحمد الكاتب في كتابه «تطور الفكر السياسي الشيعي» أن تنصيب بعض الشيعة الهادي إماما بعد أبيه، وهو طفل صغير، أثار الخلاف بين الشيعة، كما كانوا اختلفوا قبل ذلك عندما نصّب قسمٌ منهم الجوادَ إماما وهو طفل صغير، في أعقاب وفاة أبيه الرضا (الإمام الثامن)، ما عرّض نظرية الإمامة إلى مزيد من التهاوي والسقوط.

يقول الكاتب: «ولأن الهادي كان صغيراً عند وفاة الجواد فقد أوصى أبوه بالأموال والضياع والنفقات والرقيق إلى (عبدالله بن المساور) وأمره بتحويلها إلى الهادي عند البلوغ.. وهذا ما دفع الشيعة إلى التساؤل: إذا كان الهادي بنظر أبيه غيرَ قادر على إدارة الأموال والضياع والنفقات لصغره فمَن هو الإمام في تلك الفترة؟ وكيف يقوم بالإمامة طفل صغير؟ وهو سؤال كان قد طرحه البعض عند وفاة الإمام الرضا مِن قبل، وذلك عندما كان الجواد طفلا صغيرا».

هادي (فضائية)

قناة فضائية شيعية للأطفال تابعة لحزب اللّه الشيعي اللبناني، وأخذت اسمها من اسم هادي نصر اللّه، نجل الأمين العام للحزب، حسن نصر اللّه، لكن سرعان ما تم إغلاق القناة وظهرت بدلاً منها قناة طه للأطفال.

وفي كتابه «الفضائيات الشيعية التبشيرية» الصادر سنة ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، يبيّن الباحث الهيثم زعفان بعض الشواهد على نهج القناة الشيعي، منها:

١- أن القناة تأتي كل صباح بدعاء باسم اليوم كدعاء الاثنين والسبت وهكذا، وهذه عادة شيعية يتم فيها تخصيص دعاء معين لكل يوم من أيام الأسبوع.

٢- أن شريط الرسائل بالقناة فيه تمجيد شديد ومستمر لحسن نصر اللّه، الأمين العام لحزب اللّه.

٣- تقديم أفلام كرتونية للأطفال عن قصص الأنبياء، وفيها تجسد الأنبياء بشخصيات كرتونية.

(*) باحث أردني.

٤- تقديم القناة أنشودة لترغيب الأطفال في الصلاة، وتعرض طفلة صغيرة تصلي، وعند السجود تسجد على حجر صغير، وفي ذلك تدريب للأطفال على الصلاة وفق الاعتقاد الشيعي بضرورة الصلاة على حجر، وأن أفضل الأحجار عندهم هي ما كانت مصنوعة من طينة كربلاء.

هدهد (فضائية)

قناة فضائية شيعية للأطفال مقرها في بيروت، وتبثّ على القمرين الصناعيين: نايلسات وهوتبيرد، باللغات الفارسية والعربية والإنجليزية، وتتبع لجواد الشهرستاني، صهر المرجع الأعلى لشيعة العراق، علي السيستاني، ووكيله في مدينة قم الإيرانية. وقد بدأ بث القناة في شهر رمضان سنة ١٤٣١هـ (٢٠١٠م).

وقد ذكرت بعض التقارير أن الميزانية السنوية للقناة تقدر بعشرين مليون دولار. وبمتابعة القناة وموقعها على شبكة الإنترنت، يتضح أنها تقدم برامج الأطفال تارة مغلفة بأفكار شيعية، وتارة أخرى صريحة، ففي إحدى الأناشيد التي تبثها القناة بعنوان (أنشودة الصلاة) تعرض الأنشودة طفلا يصلي على التربة الحسينية، ويقول له والده: في الصبح صلِّ ركعتينِ كالمجتبى ثم الحسينِ هم نور عيني.

وفي أنشودة أخرى تعرضها القناة بعنوان (نشيد الإمام المهدي للأطفال) يخاطب الأطفالُ الإمامَ الثاني عشر عند الشيعة الإمامية، محمد بن الحسن العسكري (المهدي المنتظر) الذي يعتقد الشيعة أنه اختفى في سرداب منذ قبل أكثر من ١١٠٠ سنة، بقولهم:

يا ابن الحسن روحي فداكْ	متى ترانا ونراكْ
يا مهدينا طال البعدُ	فمتى يبدو القمرْ
تعبتْ كلُّ عيون الدنيا	من آلام السهرْ
في كل فؤادٍ نبضتُه	تدعو للمنتظرْ
وقلب مولاي دعاكْ	متى ترانا ونراكْ

الهشامان

تسمية اشتُهر بها: هشام بن الحكم وتلميذه هشام بن سالم الجواليقي، اللذان عاشا في القرن الثاني الهجري، وهما من واضعي عقائد الشيعة، ومن أصحاب الأئمة.

وعن الأول منهما، يقول الشيخ الدكتور ناصر القفاري في كتابه «أصول مذهب الشيعة»: «هشام بن الحكم أصله كوفي، وسكن بغداد، وتربى في أحضان الزنادقة، وكان في الأصل على مذهب الجهمية، ثم قال بالتجسيم.. نقلت عنه عدة مقالات ضالة، وتنسب له كتب الفرق، (فرقة الهشامية) من الشيعة. توفي سنة ١٧٩هـ، كما في رجال الكشي، وقيل ١٩٠هـ». (انظر أيضاً: الهشامية)

الهشامية

قال فيهم عبد القاهر البغدادي في كتابه «الفرق بين الفرق»: «هؤلاء فرقتان، فرقة تُنسب إلى هشام بن الحكم الرافضي، والفرقة الثانية تُنسب إلى هشام بن سالم الجواليقي. وكلتا الفرقتين قد ضمّت إلى حيْرتها في الإمامة ضلالتها في التجسيم، وبدعتها في التشبيه».

ويتفق العلماء والباحثون على أن بدعة التجسيم وتشبيه الخالق بالمخلوق في دخلت إلى المسلمين مِن طرف الشيعة، وتحديدا مِن قِبل «الهشاميْن». وبشيء من التفصيل يقول البغدادي: «زعم هشام بن الحكم أن معبوده **جسم** ذو حدٍّ ونهاية، وأنه طويل، عريض، عميق، وأن طوله مثل عرضه، وعرضه مثل عُمقه، .. وزعم أيضاً أنه نور ساطع يتلألأ كالسبيكة الصافية من الفضة، وكاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها.. وزعم أنه ذو لون وطعم ورائحة»..

أما الجواليقي فيقول فيه البغدادي: «زعم أن معبوده على **صورة الإنسان**، وأن نصفه الأعلى مجوّف ونصفه الأسفل مُصمت، وأن له شعرة سوداء وقلبا تنبع منه الحكمة».

وعلى الرغم من وجود روايات لدى الشيعة تفيد ببراءة الأئمة من الهشامين وأقوالهما، كما في أصول الكافي عن محمد بن الفرج الرخجي قال: «كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أسأله عما قال هشام بن الحكم في الجسم وهشام بن سالم في الصورة، فكتب: دع عنك حيرة الحيران واستعذ بالله من الشيطان، ليس القول ما قال الهشامان».

إلاّ أن الشيعة يوثّقونهما، ويعتبرونهما من الثقات، وقد عدّه شيخ الشيعة «المفيد» من الرؤساء والأعلام المأخوذ منهم الحلال والحرام والفتيا والأحكام، الذين لا

يطعن عليهم شيء، ولا طريق إلى ذم واحد منهم.

وفي حديثه عن صلة الشيعة المعاصرين بأسلافهم، يلفت الشيخ الدكتور ناصر القفاري في كتابه «أصول مذهب الشيعة» إلى أن شيوخ الشيعة المعاصرين إذا تحدثوا عن طائفتهم ورجالها ودولها، فإنهم ينسبون إليها كل الفرق والدول والرجال المنتمين للتشيع، وإن كانوا من الإسماعيلية والباطنية، أو من الزنادقة الدهرية، أو من المجسمة الغلاة».

ويضرب الشيخ القفاري لذلك مثلاً بشيخ الشيعة محسن الأمين في كتابه «أعيان الشيعة» الذي اعتبر أن الهشامية، أتباع هشام بن الحكم (وكذلك اليونسية، أتباع يونس بن عبد الرحمن القمي، والشيطانية، أتباع شيطان الطاق) كلهم ثقات وصحيحو العقيدة، وأنهم إمامية إثنا عشرية.

الهلال الشيعي

مصطلح سياسي استخدمه العاهل الأردني، الملك عبد الله الثاني، في أواخر سنة ٢٠٠٤م، خلال زيارة له إلى الولايات المتحدة، وقد عبّر فيه عن خشيته من وصول حكومة عراقية موالية لإيران إلى السلطة، ما يعني أن تصبح المنطقة الممتدة من إيران إلى لبنان، مرورا بالعراق وسوريا، خاضعة للنفوذ الشيعي.

هيئة خُدام المهدي

هيئة دينية تابعة للتيار الشيرازي، أسسها رجل الدين الشيعي الكويتي الشاب ياسر الحبيب، في سنة ٢٠٠٠م، في الكويت، ثم سرعان ما أنشأت لها فروعا في العراق وإيران ولبنان والبحرين، لكنّ النهج الذي تبنته الهيئة ومؤسساتها وياسر الحبيب بالتطاول على الصحابة وأمهات المؤمنين رضي الله عنهم، والاصطدام بالعقائد الإسلامية أدّى إلى إغلاق مقرّاتها في الكويت وأماكن أخرى، وإلى سجن مؤسسها، لتتخذ الهيئة حاليا من العاصمة البريطانية لندن مقرا لها.

وبحسب الموقع الالكتروني للهيئة فإن أهم غاياتها وأهدافها هي:

١- التمهيد لقيام المهدي المنتظر.

٢- إنهاض المجتمع الشيعي ورفع مستوى وعيه.

٣- معالجة مواطن الاعتلال العقائدي وتنقية المجتمع الشيعي من الشوائب.

٤- إنهاء حالة الانهزامية والتراجع والخمول في المجتمع الشيعي.

٥- السعي لاستلام الشيعة موقع الريادة والطليعة العالمية في شتى المجالات.

٦- دعوة البشرية بمختلف أديانها وطوائفها إلى المذهب الشيعي.

وتصدر عن الهيئة عدة مطبوعات، منها:

١- الجريدة الشيعية (Shia Newspaper): وهي تصدر باللغتين العربية والإنجليزية.

٢- مجلة المنبر، وهي أول مجلة أصدرتها الهيئة، وتصدر في مطلع كل شهر هجري.

٣- مجلة ثائر: وهي مخصصة للأطفال.

٤- مجلة صدى الخدام: وهي عبارة عن تعريف بالهيئة ومشاريعها.

٥- نشرة أصداء: وهي تُنشَر دورياً، وتهدف لبيان مواقف الهيئة في القضايا المطروحة وردودها. كما يتبع للهيئة قناة فضائية اسمها (فدك).

وتتبنى الهيئة عدة مشاريع ومراكز، منها:

١- مشروع: علي ولي الله

وهو مشروع لنشر المذهب الشيعي في العالم من خلال تسيير رحلات تبليغية يقوم بها علماء الشيعة لنشر التشيع في أكثر من بلد. كما ويقوم المشروع بدعم كل الخطوات التبليغية والدعوية، من قبيل طباعة الكتب العقائدية ونسخ الأشرطة والأقراص الكمبيوترية.

٢- مركز نور محمد

وهو مخصص للمشاريع الخيرية الخاصة، وبناء المساجد والحسينيات، وتعمير العتبات، ودعم الطقوس الشيعية.

كما تدير الهيئة عددا من الحوزات والحسينيات مثل: حوزة الإمامين العسكريين، وحسينية سيد الشهداء.

السياحة الإيرانية في مصر..
التشيع يرتدي عباءة الاقتصاد

أسامة الهتيمي(*)

لقد بات من المسلّم به لدى المراقبين السياسيين والمتابعين للشأن المصري أن شكل العلاقات المصرية – الإيرانية سيختلف بدرجة كبيرة جدا في عهد الرئيس المنتخب الدكتور محمد مرسي عما كانت عليه زمن المخلوع حسني مبارك والذي لم يكن يشغله في تحركاته الخارجية إلا إرضاء الولايات المتحدة الأمريكية وتنفيذ ما يملى عليه من إدارة البيت الأبيض من أجل انتزاع الموافقة على دعم التمديد له ثم التوريث لنجله جمال.

ولم يكن مبارك في تحديد سياساته وعلاقاته الخارجية بشكل عام والدولة الإيرانية بشكل خاص مدفوعا بالحفاظ على المصالح العليا للبلاد كما هو سائد في أغلب البلدان ذات السيادة فهذا ما لم يكن مطروحا على أجندة مبارك أو العاملين معه ومن ثم فإن توتر علاقات مصر بإيران لم يستند إلى التخوفات التي طرحتها المكونات السياسية والثقافية والدينية والتي ارتكزت في أغلبها على التحذير من الخطط الإيرانية التوسعية والتسلطية والعمل على نشر مذهبها العقائدي على حساب أهل السنة وإنما كانت مسوغات وحيثيات هذا التوتر ترتبط بالأساس بملف العلاقات الأمريكية – الإيرانية التي كانت في جوهرها وما زالت صراع مصالح لا أكثر ولا أقل.

ترتيبا على هذا فإن اتجاه مصر لتحسين العلاقة مع إيران ينطلق من ثلاثة محددات:

الأول: أن أي رئيس منتخب بعد ثورة يناير سيحرص كل الحرص على أن تختلف سياساته اختلافا كليا وجذريا عن سياسات مبارك وهو أمر بقدر ما سيكون له إيجابيات سيكون له انعكاسات سلبية خاصة فيما يخص الانفتاح في علاقات مصر مع الدولة الإيرانية إذ ربما سيحمل هذا أي رئيس مصري مقبل سواء كان الدكتور مرسي أو غيره ما لم يكن في حسبانه.

الثاني: السعي إلى إنشاء تحالفات أو تكتلات سياسية تكون بمثابة أداة ضغط على القوى الكبرى التي تحصر سياساتها الدولية فيما يحقق مصالحها الخاصة ولو على حساب مصالح بقية دول العالم وهو ما عانت منه مصر وأغلب بلدان المنطقة وبالتالي فإن الأقرب وفقا لاستقراء ظاهر العلاقات الدولية أن تكون إيران ضمن محور وتكتل عربي إسلامي لمواجهة الهيمنة الغربية.

الثالث: أن الاقتصاد المصري ونتيجة لأحداث ثورة الخامس والعشرين من يناير فضلا عن المخططات التي يقودها فلول نظام مبارك يعاني من أزمات عديدة تحتاج إلى الكثير من الدعم لتجاوزها وهو ما يجتهد النظام الجديد لتجاوزها بأي شكل من الأشكال حتى لا تكون هذه الأزمات واحدة من الثغرات التي يتم الانقضاض من خلالها على الثورة بما يعني أن النظام مضطر إلى إيجاد بدائل للشراكة الاقتصادية التي تدعمه في الخروج من عثرته على أن يكون موقف هذه البدائل غير معادٍ للثورة وأهدافها.

في هذا السياق فإنه كان متوقعا أن تستغل إيران هذا الاتجاه الذي سيسيطر على ذهنية النظام السياسي المصري فعملت على أن تبدو وكأنها الأخ الشقيق الذي يمد لأخيه يد العون وقت الحاجة فسارعت فور تلويح الولايات المتحدة بقطع المعونة الاقتصادية والعسكرية عن مصر في أعقاب قضية التمويل الأجنبي واحتجاز عدد من الأمريكيين التابعين لمنظمات حقوقية إلى الإعلان عن استعدادها لتعويض مصر عن هذه المعونة والدخول معها في شراكة اقتصادية تغنيها عن انتظار هذه المعونة المرتبطة بتوقيع مصر على

(*) كاتب مصري.

معاهدة كامب ديفيد عام ١٩٧٩م.

ولقد نجح هذا الموقف الإيراني الماكر في أن يستميل المصريين للدرجة التي دفعت بكل من طمح لخوض معركة الانتخابات لمنصب رئاسة الجمهورية إلى اختصاص الحديث عن العلاقات المصرية – الإيرانية في برنامجه الانتخابي لإرضاء الجماهير العريضة التي رأت في هذه الخطوة وسيلة لحفظ ماء وجه الكرامة المصرية.

ورقة السياحة

المعن في تصريحات المسئولين الإيرانيين المعنيين بشأن العلاقات مع مصر يدرك جيدا أن قضية السياحة الإيرانية في مصر هي أهم الأوراق التي يمكن استخدامها لتحقيق الهدف الإيراني من توطيد العلاقة مع القاهرة فهي تشبه إلى حد كبير عملية اصطياد عدة عصافير بحجر واحد.

١- إن فتح باب السياحة الإيرانية في القاهرة سيعمل على أن تهيئ العديد من المؤسسات السياحية المصرية نفسها وفق نمط محدد من السياحة التي تتناسب مع السائحين الإيرانيين وهو ما سيدفع بهذه المؤسسات إلى أن تكون أداة ضغط على أي نظام سياسي مقبل في حال كان توجهه ضد توطيد العلاقة مع طهران.

٢- وهي ثانياً فرصة كبيرة لنقل الكثير من مظاهر الثقافة الإيرانية الشيعية إلى الشعب المصري السني خاصة أن الدولة الإيرانية ووفق تصريحات السفير مجتبي أماني رئيس بعثة رعاية المصالح الإيرانية بالقاهرة تطمح إلى أن يزور مصر سنويا نحو ثلاثة ملايين سائح وهو عدد كفيل بالفعل أن يكون له تأثيره في سلوك المصريين خاصة المتواجدين بالقرب من المساجد والمزارات الدينية التي يستهدفها الإيرانيون.

ولهذا سوابق لا يمكن أن يغض عنها أحد طرفه فقد كان للسياحة الأوروبية في مصر أثرها السلبي على سلوكيات البعض حيث لا تفرض السلطات المصرية على السائحين شروطا وقواعد يجب أن يلتزموا بها خلال تواجدهم على أرض مصر وهو نمط معمول به في كل دول العالم وهو ما شجع قطاعات مصرية ومن باب التقليد إلى التشبه بما عليه السائح الغربي من الملبس والسلوك.

٣- وهي ثالثا فرصة سانحة لاختراق مصر استخباراتيا ووضع تصور كامل عن أدق تفاصيل الحياة فيها وكيف يمكن لإيران بمؤسساتها الأمنية أن تضع برامج اختراق تمهيدا لتقبل الكثير مما يتعارض مع التعاليم السنية وهو ما بدا - وإن كانت المسألة في حاجة إلى مزيد من البحث والتقصي - في قضية زواج ملك اليمين التي أثارتها مؤخرا إحدى الفضائيات المصرية حيث استضافت من وصف نفسه بالمفكر الإسلامي وأحد أبناء بنت النبي محمد ﷺ ليعلن أمام الملأ عن اجتهاد جديد يبيح للرجل الزواج بأي فتاة أو أي امرأة دون ما اتفق عليه الفقهاء من شروط للزواج الصحيح وهو ما أسماه بزواج ملك اليمين.

والأسوأ قيام هذه المدعي وأمام المشاهدين بتطبيق هذا النوع من الزواج المزعوم من امرأة خلال حفل شارك فيه بعض المشبوهين الذين كان من بينهم من عرف عنه إنكار السنة النبوية.

والشاهد في الموضوع أنه وبعد يوم واحد من إذاعة الحلقة تم الكشف عن أن بطلة هذه المسرحية والتي قامت بدور زوجة ملك اليمين هي غير مصرية وقيل إنها شيعية، الأمر الذي يحمل العديد من الشبهات حول الدوافع الحقيقية وراء قيام هذا المدعي وهذه المرأة الشيعية بمثل هذا الفعل خاصة وأن الزوج أكد مرارا في الحلقة التلفزيونية أنه متزوج رسميا من هذه المرأة وأن ذلك تم خلال تواجدهما في المملكة العربية السعودية ومن ثم فليس من دافع وراء هذا الفعل سوى اختراق المجتمع المصري الذي يعاني من أزمة في الزواج نتيجة ارتفاع تكاليفه.

موقف محيّر

على الرغم من الحماسة الشديدة لدى النظام

السياسي المصري من إعادة العلاقات مع إيران إلا أنه لا يمكن أن نجزم بأن ما أثرناه في السطور السابقة ليس حاضرا في ذهنه فالموقف الحازم الذي اتخذته رئاسة الجمهورية حيال وكالة الأنباء الإيرانية «فارس» والتي نشرت ما أدعت أنها أول مقابلة للرئيس المصري محمد مرسي بعد توليه لمهام منصبه كان إشارة إلى أن النظام المصري واعٍ بدرجة كبيرة وأنه لن يقبل أن يكون أداة لتحقيق طموحات خاصة.

ومن ثم فإن المتصور أن يكون لدى النظام الجديد خطة محكمة لإدارة هذه العلاقة يتم عبرها تحقيق المستهدف الاقتصادي والسياسي مع تجنب التداعيات والآثار السلبية التي يحذر منها الجميع.

وفي هذا الصدد وفي محاولة منا لوضع ملامح تصور شامل للتعاطي مع قضية فتح باب السياحة الإيرانية في مصر ناقشنا الموضوع مع عدد من الصحفيين والنشطاء التي عكست أغلب آرائهم معاني الترحيب والحذر.

ففي البداية قال الكاتب أحمد نصير مدير تحرير جريدة فيتو: «أعتقد أن مشروع السياحة الشيعية أو الإيرانية بالأدق والذي يطلق عليه «العتبات المقدسة» والذي كان اقترحه من قبل وزير السياحة في نظام مبارك ممدوح البلتاجي قبل أن يتم تجميده لدواع سياسية وأمنية في ظل تجميد العلاقات بين القاهرة وطهران سوف يتم تنفيذه في ظل حكم الرئيس محمد مرسي الذي ينتمي إلى جماعة الإخوان المسلمين ذات العلاقات الوطيدة مع إيران.

ومن هنا سيكون هناك إمكانية واسعة كي يكون للمذهب الشيعي موطأ قدم في مصر وقد يصل الأمر إلى حد انتشار التشيع غير أن الحكومة المصرية في ظني حتى لو كانت إخوانية لن تسمح بهذا، وكل ما يمكن أن تسمح به هو التعاون السياسي والاقتصادي مع إيران وتطبيع العلاقات معها دون السماح لطهران بنشر المذهب الشيعي.

وبالعودة إلى مشروع السياحة الشيعية نجد أنه مشروع طموح من الناحية الاقتصادية فالتقديرات الأولية تقول إن نحو مليون سائح إيراني قد يزور مصر لزيارة أضرحة ومساجد آل البيت غير أن الهدف الأهم من هذا المشروع أن إيران تسعى كي تكون موجودة بقوة في مصر، الأمر الذي يجعل المذهب الشيعي حاضرا بقوة بين فئات عدة وخاصة الصوفيين الذي يقدر عددهم بمئات الآلاف وهم من السهل أن يعتنقوا هذا المذهب فهناك طرق صوفية مصرية هي أقرب للمذهب الشيعي من مذهب أهل السنة والجماعة وهناك أيضا شيعة مصريون لا يعملون في العلن خوفا من ملاحقة السلطات لهم وسيعطي تطبيع العلاقات بين القاهرة وطهران الفرصة لهم كي يعلنوا عن أنفسهم ويبدؤون في ممارسة نشاطهم.

ومع تخوفات الأستاذ نصير إلا أنه يطرح تصورا لكيفية توطيد العلاقة مع إيران فيقول إن العلاقات مع إيران ينبغي أن تكون قائمة على مبدأين أساسيين هما: الودية والندية، وأن يتم تفعيل مبدأ المعاملة بالمثل عند الضرورة فإيران لا تسمح بنشر المذهب السني بل وتقوم بملاحقة واضطهاد السنيين الإيرانيين في الأحواز وغيرها، وهناك عمليات إعدام تنفذها السلطات الإيرانية ضد نشطاء سنة وبالتالي فلا مانع من التعاون مع إيران وبناء علاقات قوية واستراتيجية معها على قواعد الود والندية لكن مع اتخاذ الإجراءات اللازمة لمنعها من نشر المذهب الشيعي والتدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية والإسلامية.

وأضاف نصير أن العلاقات المصرية الإيرانية ستتأثر دائما بعدة أمور: أولها ما يتعلق بنشر المذهب الشيعي في دول عربية عدة، وثانيها الأقليات الشيعية في بعض الدول العربية والتي تقوم إيران تحت ذريعة الدفاع عن هذه الأقليات بالتدخل في شؤون دول عربية بل وتقوم بتهديد هذه الدول وأقصد في هذا السياق السعودية التي يخرج مسئولون إيرانيون من آن لآخر لتهديدها على خلفية أحداث الشغب التي يقوم بها شيعة سعوديون في

المنطقة الشرقية للمملكة.

وهناك أيضا ملف الجزر الإماراتية (طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى) والتي تحتلها إيران وترفض حتى مجرد التحكيم الدولي فيها، وهناك أيضا ملف حزب الله في لبنان وعلاقته بالنظام السوري ومساندته في ذبح الثورة والثوار وارتكاب مجازر بشعة وكلها أمور ستكون مثار توتير للعلاقات.

ومع ذلك عاد من جديد الأستاذ نصير ليؤكد تخوفاته فقال: إنه وللأسف ستظل العلاقات المصرية الإيرانية وفي العموم العلاقات العربية الإيرانية مفخخة بشكل دائم بفعل الممارسات الإيرانية وتدخل طهران في شأن الدول العربية وعليه فلا حل سوى وجود تكتل عربي يجبر إيران على احترام علاقة الجوار .. والالتزام بحسن الجوار وإجبارها على بناء علاقات أساسها الندية والودية.

وأوضح أن مصر لا يمكن أن تمضي في علاقات واسعة مع إيران دون النظر بعين الاعتبار للعلاقات الخليجية الإيرانية المتوترة وتدخّل إيران في الشأن السعودي والبحريني والإماراتي.

المثلث الشيعي

وبلهجة فيها الكثير من التحذير يقول الكاتب الإسلامي حسام عبد العزيز إن السياحة الدينية هي المدخل الذي تسعى من خلاله إيران إلى نشر مذهبها الشيعي في مصر بعد انقطاع في العلاقات دام لعقود. وتحت غطاء إعادة العلاقات المصرية الإيرانية فإيران لا تكف عن إبداء استعدادها لإعادة العلاقات رغم دورها المشبوه في سوريا والذي يؤكد أن الجمهورية الشيعية لا تشجع الثورات العربية إلا إذا كانت ثورات شيعية كما حدث في البحرين كما حاولت إيران من خلال ما يسمى بـ «الحسينيات» الترويج للسياحة الدينية وهو ما فهمه المرشح الرئاسي السابق حمدين صباحي فسارع إلى إعلان دعمه السياحة الدينية الإيرانية في أحد برامج المناظرات الرئاسية الفضائية لكسب أصوات الشيعة.

وأكد عبد العزيز أن الأمر جد خطير وقد اشتكى أهالي قرية «هريبط» التابعة لمركز أبو كبير محافظة الشرقية من زيارة الشيعي حسن شحاتة القرية منذ أيام حيث أقام بمنزل شقيقه هناك لثلاثة أيام بصحبة عدد من الرجال والنساء حيث أفاد عدد من الأهالي أن شحاتة وأصدقاءه اعتلوا سطح المنزل المكون من ثلاثة طوابق وأدوا الشعائر الشيعية من صراخ ولطم على الوجه وضرب الرؤوس بالسيوف وإطلاق الصيحات «يا علي ويا حسين» وذلك من بعد صلاة العشاء إلى منتصف الليل.

وأوضح أن الحسينيات صارت مصدر قلق للجميع إلى حد تحذير الأزهر في مايو/ أيار الماضي من إقامتها وتطورت الفكرة في ظل الانفلات الأمني من إقامة حسينيات أو مساجد للشيعة إلى «جيتو»، فقد نقلت صحيفة الوطن منذ أيام عن علاء السعيد أمين عام «ائتلاف المسلمين للدفاع عن الصحب والآل» قوله إن الشيعة يقومون في الوقت الحالي بشراء الأراضي والعقارات في مدينة ٦ أكتوبر بشكل كبير لتصبح مغلقة عليهم وتتحول إلى مدينة شيعية كما هو حال القطيف والإحساء في السعودية مشيرا إلى أن المجتمع المصري مهيأ إلى حد كبير والبوابة هي الحب الفطري لآل البيت التي يستغلها الشيعة في استقطاب العناصر الجديدة مع التزام هؤلاء الشيعة بالكف مؤقتا عن سب بعض الصحابة من قبيل التقية.

وأوضح عبد العزيز أن البعد الجديد في نشر التشيع هو مخاطبة الغرائز. وقد صار ارتفاع معدلات البطالة والعنوسة بين الشباب المصري حقيقة لا يمكن إنكارها. ففي حلقة مثيرة للجدل أذاعتها إحدى القنوات الفضائية عما يسمي «زواج ملك اليمين» بحضور من وصفه مقدم الحلقة بالداعية الإسلامي والذي يبيح هذا النوع من الزواج. وبعد يوم واحد من الجدل والضغط على مقدم الحلقة، يعترف هذا المذيع وائل الإبراشي بأن حالة زواج ملك اليمين المعروضة تخص رجلاً وامرأة من

دولة المغرب. وبالرغم من أن الإبراشي أكد أن حالة الزواج تمت في مصر لكن إصرار هذا المذيع على الاستئثار بملف الشيعة تليفزيونيا جعل السؤال الأهم في هذا السياق: هل تتدخل إيران إعلاميا؟

لقد كتب الإبراشي نفسه في شهر يونيو/ حزيران ٢٠١١ مقالا يصف فيه الرافضين لإعادة العلاقات المصرية الإيرانية بالحمقى والمغرضين وأعداء المصالح العربية والإسلامية وحلفاء أمريكا وإسرائيل.

ويؤكد الإبراشي في مقاله أن إقامة العلاقات ليس معناه انتشار المذهب الشيعي في مصر قائلا إن بعض دول الخليج تقيم علاقات مع إيران وتحاول منع مصر من فعل الشيء نفسه.

وأشار عبد العزيز إلى أن الأمر يأخذ بعدا علنيا فهذا الطاهر الهاشمي رئيس اتحاد قوى آل البيت يطالب الدكتور محمد مرسي رئيس مصر في رسالة بإعادة العلاقات مع إيران معتبرا عودة العلاقات مع الجمهورية الإسلامية البداية لتحرير فلسطين.

كذلك فإن المواقع الشيعية كثرت على الشبكة العنكبوتية وهجمات القرصنة على مواقع السنة تنذر بالخطر القادم إذ يمكنك أن ترى على مواقع الشيعة اليوم خبرا يقول: مطالب السلفيين أمام مرسي: طرد الشيعة والبهائيين وهدم الأهرامات!! .. في المقابل يطالب يسري حماد القيادي بحزب النور بتحرك شعبي لوقف المد الشيعي في مصر، وأضاف: للأسف هناك بعض العناصر المتطرفة التابعة للنظام الإيراني استغلت غياب الأمن وضعف الفجوة الأمنية بالإضافة إلى وجود دعم مالي عن طريق الشيعة العراقيين الموجودين حاليا في مصر وقاموا بإقامة حسينية لنشر الدين الشيعي في مصر.

واختتم عبد العزيز كلامه بالقول إن الشيعة يحاولون النفاذ إلى قلب مصر من نقاط الضعف: الغريزة والمبالغة في حب آل البيت وإعلام الشائعات ومذيعي وصحفيي البيزنس. في الوقت نفسه يظل التحدي الأكبر في وجه المذهب الشيعي هو التيار السلفي الذي حمل على عاتقه التصدي لهذا المذهب منذ عقود لكن حركة الإخوان التي لم ينفصل عنها فكريا الرئيس المصري لم تعد هي الأخرى على الحياد بسبب الموقف الإيراني من الثورة السورية ودعمها الواضح لطاغية سوريا بشار.

الاحترام المتبادل

ويتفق الباحث مجدي داوود مع كثير مما ذهب إليه الأستاذ عبد العزيز فيقول إن من المعلوم أن إيران تنفق أموالا طائلة على نشر المذهب الشيعي في الدول السنية وعلى رأسها مصر لما لها من أهمية وثقل استراتيجي وبالتالي فإن فتح الباب للسائحين الإيرانيين سوف يستغله الشيعة أفضل استغلال لنشر مذهبهم وذلك عن طريق:

١- عقد لقاءات مستمرة مع الشيعة المصريين وحرية تنقل الإيرانيين في أنحاء مصر لنشر مذهبهم والدعوة إليه.

٢- بذل الأموال الضخمة تحت غطاء قانوني لنشر المذهب وصناعة الأتباع وشراء ولاء من يقتنع بأفكارهم وتجهيز الأضرحة والمساجد التي يعتبرونها من المقدسات فتصبح لافتة لأنظار المصريين وسببا في اجتذابهم إليها لتزداد عمليات تزييف الوعي ونشر التشيع.

٣- تسهيل دخول الإيرانيين والسماح لهم بالتنقل من شأنه إزالة الحاجز النفسي بينهم وبين عوام المصريين الذين يرفضون الانحرافات الشيعية وهو ما سيستغله الشيعة في بث سمومهم وإدخال الشك في قلوب المصريين.

وأضاف داوود أن الشعب المصري بطبيعته شعب محب لآل البيت الكرام ولا تزال بعض الآثار القديمة للشيعة موجودة منذ عصر الفاطميين إلا أنها باتت في نطاق محدود وانحصرت كثيرا في السنوات الأخيرة وهذه نقطة خطيرة يلعب عليها دعاة التشيع الذين يريدون تغيير ثقافة الشعب المصري وتغيير نظرته للشيعة وجعل مصر امتدادا للهلال الشيعي ولعل ما حدث خلال الفترة الأخيرة

مـن فـتح الحـسينيات «المزعومـة» ومـا يـسمى بـزواج ملـك الـيمين هـو نـوع مـن إحـداث الـصدمات ولفـت الأنظـار إلى وجـود أفكـار جديـدة يـستطيعون مـن خلالها الوصول إلى قطاع عريض من الناس.

وحـول محـددات العلاقـة مـع إيـران قـال داوود إن دول الخلـيج تربطهـا علاقـات دبلوماسـية مـع إيـران وعلـى رأسـها الإمـارات الـتي تحتـل إيـران ثـلاث جـزر مـن أراضـيها وكـل ذلـك يـتم علـى أسـاس المـصالح المتبادلـة. وإيـران دولـة تجيـد التحالفـات، فبينمـا هـي تعـادي أمريكـا في سـوريا تتعـاون معهـا في العـراق وبالتـالي يمكـن لمـصر أن تقـيم علاقـات دبلوماسـية متوازنـة مـع إيـران تقـوم علـى أسـاس الاحـترام المتبـادل والمـصالح المتبادلـة وتحقيـق نـوع مـن التفـاهم حـول الأمـور ذات الاهتمـام المـشترك لكـن مـع ضـرورة احـترام سـيادة كـل دولـة علـى أراضـيها وعـدم تـدخل أي دولـة في شـئون الدولـة الأخـرى بـأي شـكل مـن الأشـكال سـواء مـن خـلال الطريـق الرسمـي أو مـن خـلال الإعـلام الموجـه وعـدم التـدخل لتغـيير ثقافـات الـشعوب، وفي حـال عـدم الالتـزام بـذلك يمكـن اللعـب علـى وتـر مـا يتعـرض لـه أهـل السنة في إيـران والعـرب في الأحـواز وهـذه قـضايا تخـشى إيـران مـن إثارتهـا ويمكـن الـضغط بهـا عليهـا إذا تجـاوزت مـا يـتم الاتفاق عليه.

التجربة السورية

وللكـشف عـن بعـض التجـارب للـسياحة الإيرانيـة في بعـض البلـدان العربيـة قـال الـدكتور أيمـن هـاروش الباحـث والداعيـة الإسـلامي الـسوري إن الـسياحة نـوع مـن أنـواع تلاقـي الأفكـار وتلاقحهـا، وبـامتزاج الـشعوب وتعارفهـا ينقـل الـسائح فكـره ومفاهيمـه إلى بلـد الـسياحة كمـا يأخـذ منهـا فكرهـا ومفاهيمهـا، والـدول الـتي تقـوم علـى أسـس عقيديـة أكثـر الـدول في اسـتخدام الـسياحة للـدعوة لعقيـدتها وإيـران واحـدة مـن هـذه الـدول الـتي تقـوم علـى عقيـدة الـشيعة الإثنـى عشرية وتحاول بثها بكل وسائلها.

وقـد انتهـزت فرصـة وجـود حكـم في سـورية تربطـه بهـا مـصالح مـشتركة وعـداوة مـشتركة لأهـل الـسنة لتـستغله في نـشر مـذهبها وبـدأت بالـسيطرة علـى البقـاع الـتي تحتـوي علـى أضـرحة لأهـل البيـت فبدايـة اسـتولت علـى بلـدة الـسيدة زينـب وهـي قريبـة مـن دمـشق تبعـد عنهـا حـوالي ٢٠ كـم ولم يكـن مـن أهلـها واحـد يعتنـق المـذهب الـشيعي فقامـت بإنـشاء مـسجد كـبير حـول المقـام وبنـاء مقـام كـبير علـى قـبر الـسيدة زينـب بفـن معمـاري إيرانـي بحـت، ثـم اسـتولت علـى مقـام الـسيدة رقيـة في دمـشق القديمـة وفعلـت مـا فعلتـه في الـسيدة زينـب ثـم اسـتولت علـى مقـام شـهداء صـفين في الرقـة وهـم عمـار بـن ياسـر وأبـي وأويـس القرنـي وفعلـت كفعلـها الـسابق بالإضـافة إلى حيازتهـا بنـسبة ملحوظـة علـى الجانـب الـشرقي للجـامع الأمـوي الـذي فيـه رأس الحـسين بـن علـي ومـسجد الحـسين في حلـب الـذي فيـه مقـام للحـسين كمـا يزعمون.

وفي كـل بقعـة مـن هـذه كانـت تعقـد محاضـرات ونـدوات لـشيوخهم يتكلمـون فيهـا علـى المـلأ عـن عقائـد الـشيعة وظلـم الأمـويين إلى غـير ذلـك كمـا كانـت تفتـتح مراكـز للـدعوة والإرشـاد تقـوم بفـتح حـوزات علميـة وتوزيـع كتـب مـذهبهم مجانـا كمـا تقـوم بإحيـاء مناسـباتهم الدينيـة الكـثيرة في كـل عـام وعلـى طـريقتهم مـن لطـم وضـرب ومـسيرات في الـشوارع وكـثيرا مـا كانـت دروسـهم تحمـل البعـد الـسياسي فـأذكر مـرة أنـني دخلـت مـسجد الـسيدة زينـب فكـانوا يـصلون وبعـد انقـضاء صـلاتهم بـدأ المـتكلم علـى الميكرفـون يلعـن صـدام حـسين ويـبرئ الخمـيني فخرجـت ودخلـت قاعـة أخـرى وإذ بمعمـم يهجـم علـى الـسنة ويكـذب مـن يـدعي خلافـة أبـي بكـر.

وأقـذر طريقـة يتعـاملون بهـا هـي اسـتخدام فتيـاتهم للمتعـة فكـنّ يحـضرن بلبـاس مغـرٍ وهنـاك سماسـرة متعـة والهـدف هـو نـشرها في وسـط هـذه المجتمعـات وجلـب النـاس للتـشيع، والدولـة تقـدم لهـم كـل التـسهيلات في مـا يريـدون بـل الويـل ثـم الـسجن لمـن تكلـم بكلمـة علـيهم فكانـت النتيجـة أن أصـبحت الـسيدة

زينب وأخواتها من المناطق الأخرى ممن سميتُ وممن لم اسمِّ مستعمرة شيعية حيث اشتريت معظم أراضيها وتشيع معظم أهلها وهذا ما تريده إيران من هذه الأفعال: السياحة ظاهرا والدعوة للتشيع باطنا.

وأكد الدكتور هاروش أن السياحة الإيرانية لم تكن تهدف إلا لنشر التشيع في المدن السورية لا سيما التي فيها مقامات لأهل البيت ومنح مساعدات مالية ورواتب لمن يعتنق التشيع وتقريب من السلطة بحيث تصبح أموره ميسرة في الدولة مع محاربة من يتكلم على الشيعة حتى غدت السيدة زينب بمعظمها شيعية، وانتشر في الرقة التي فيها شهداء صفين وفي المناطق الشرقية من سوريا حيث بنيت لهم مساجد ووضع لهم مبشرون وافتتحت كليات شيعية في الطبقة التابعة لمحافظة الرقة وفي إدلب علما بأنه لا يوجد ولا شيعي في الرقة قبل عام ٢٠٠٢ تاريخ تسلطها على المقام السابق ولا يوجد في إدلب سوى قرية واحدة لا يتجاوز تعدادها ١٥ ألف نسمة تقريبا.

وأوضح الدكتور هاروش أن إيران تصر على زيادة أعداد سائحيها في البلدان العربية من أجل بسط مذهبها الشيعي على البلاد ثم بسط نفوذها السياسي وهي تستغل عدة نوافذ:

أولها: الامتداد الصوفي في كثير من البلاد والفكر الصوفي يتشابه في خطوطه العريضة مع الفكر الشيعي وإن كان يختلف في التفاصيل كما أن الفكر الصوفي ليس عدائيا للشيعة ولا يقدر على دحض شبهاتها.

وثانيها: الانتماء العشائري حيث إن كثيرا من العشائر كالبقارة والبوسرايا والولدة والتي تعيش في الجزيرة والنعيم التي توجد في حمص وإدلب تعود بنسبها لآل البيت فتقنعهم إن كانوا شيعة وكثير من الجهال يقعون في هذا الشرك.

وثالثها: عداوة بعض الأنظمة كالنظام السوري العلوي للسنة أو إهماله هذه المسألة كالأنظمة العلمانية الأخرى في البلاد العربية.

كما أن هناك أمرا لا بد من معرفته وهو أن الفكر الشيعي وبناء الدولة الشيعية يقومان على ترتيب لأولويات العداوة والامتداد وهو الترتيب نفسه الذي يقوم عليه النفوذ السياسي لإيران وهذا الترتيب هو: السنة- العرب- اليهود.

فالسنة لتقضي على مذهبهم، والعرب لتثأر لامبراطوريتها، واليهود لتعيد القدس لها. ولذا فهي تسعى للسيطرة على الخليج لتحكم البقاع المقدسة والطريق له من الشام ثم إن حققت مأربها بالأمرين الأوليين قامت للثالث ولذا فالثالث صديقها طالما أن الأولين موجودان.

وعن حجم الاستفادة المادية لسوريا من السياحة الإيرانية قال الدكترو هاروش: «ربما يكون هناك استفادة مادية من خلال تأجير البيوت وحركة الفنادق وشرائهم لهدايا الحج من سوريا لبلادهم وتحريك المطاعم والمنتزهات ولكن الخسارة حتى المادية أكثر بكثير من الربح حيث استولت على أراض وأخذت مساحات واسعة في بعض المناطق ولا تسأل عن الخسارة الدينية والتاريخية.

وأشار الدكتور هاروش إلى أنه ليس هناك أي مصلحة أو منفعة في إقامة علاقات مع إيران لا لمصر ولا لأي بلد عربي آخر بل يجب أن تكون العلاقات معها علاقات حرب باردة ولهذا أحذر إخواني المصريين من الانفتاح على إيران لأنها ستفعل بمصر ما فعلته بسوريا إن تم ذلك مستغلة التشابه في المعالم والعالم الموجودين في مصر وسوريا.

التجربة العراقية

ومن العراق تقول الإعلامية الإسلامية

إسراء البدر إن السياحة الإيرانية في العراق أعطت صلاحيات كبيرة للإيرانيين على حساب العراقيين، فهم مثلا يدخلون إلى مطار النجف بدون تفتيش في حين أن العراقي لا يدخل إلى أي مكان بدون تفتيش كما أن لهم الأولوية في فنادق الدرجة الأولى وهو ما أشعر العراقيين بحالة من الظلم والتمييز.

وأضافت البدر أن وفود الإيرانيين على العراق نقلت بعض السلوكيات الغريبة فالإيرانيون يجلبون معهم الكثير من النساء ويتم تزويجهم زواج المتعة للمرجعيات الشيعية وكبار علمائهم بالإضافة إلى نشر اللطم وبعض الطقوس الشيعية التي لم نكن نراها من قبل ومنها مثلا جلبهم لتماثيل يشبهون بها آل البيت كما يجلبون شخصاً يركب حماراً على أساس أنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويقوم الناس بقذفه بالحجارة فضلا عن التمسح بالتماثيل والبكاء واللطم عليها.

وأوضحت البدر أنهم نقلوا أيضا بعض الفتاوى والأفكار الشاذة ومنها أن الدخان لا يفطر صيام رمضان أي يمكن للصائم أن يدخن، وجواز تدخين الحشيش، كما يجوز للصائم شرب الماء خاصة إذا كان يعمل في الجو الحار.

مفهوم المقاومة الشيعية في إطار النظرية المهدوية

بوزيدي يحيى(*)

تمثل ثنائية المقاومة والمهدوية أهم سمتين في الفكر السياسي الشيعي المعاصر، وإن كانت السمة الأخيرة هي عمود هذا المعتقد وأساسه إلا أن الأُولى تعد نتيجة لظروف المعاصرة، إذ ارتبط التمدد الشيعي الإيراني في الساحة السنية بشعار مواجهة الولايات المتحدة ومشاريعها ضد الأمة من خلال خطاب المقاومة الذي كان حزب الله أهم رموزه. وبالموازاة مع هذا الشعار كان شعار وخطاب المهدوية هو الخلفية للهيجان الثوري الشيعي ووقود خطاب المقاومة، غير أنه ظل حبيس هذا الوسط الذي استوعبه بشكل كامل - قرب ظهور المهدي المنتظر ليؤسس دولته الإسلامية العادلة المنشودة- دون أن يكون له نفس الصدى في الوسط السني الذي كان يركز على خطاب المقاومة فقط.

وخلال العقود الثلاثة الماضية من نجاح الثورة في إيران كانت هناك العديد من التناقضات بين الشعارات المرفوعة والواقع السياسي أبرزها ذلك التناقض في التحالفات بين إيران الإسلامية وسوريا البعثية، وإن كانت ضرورات الحرب الإيرانية العراقية (١٩٨٠ – ١٩٨٨م) اقتضت ذلك التحالف حينها، إلا أنه خلال الثورة السورية استمر هذا التحالف بل وتمدد ليشمل كل القوى الشيعية في العالم العربي التي وقفت إلى جانب بشار الأسد المقاوم الممانع عند حسن نصر الله، والمواجه للولايات المتحدة الأمريكية عند زعيم التيار الصدري مقتدى الصدر. هذان الموقفان المتناقضان يطرحان تساؤلات حول مفهوم ومعنى المقاومة عند الشيعة في إطار النظرية المهدوية التي تبشر بالعدل ومواجهة الحكام الظلمة الجائرين الذين يفترض أن يكون الأسد واحدا منهم.

تجليات النظرية المهدوية في الواقع الشيعي اليوم

تمثل النظرية المهدوية جوهر العقيدة الشيعية الإثني عشرية، فالإمامة التي تأسس عليها التشيع والتمركز حول الأئمة من آل البيت أوقع الشيعة في مأزق خطير بعد وفاة الإمام الحادي عشر، لتظهر فكرة الإمام الثاني عشر الغائب بعد دخوله السرداب ثم تحشد لها الأحاديث والروايات المكذوبة وحتى الأساطير، ويدخل الشيعة في مرحلة طويلة من الانتظار وقف فيها علماؤهم موقف

(*) كاتب جزائري.

المعارض الرافض لكل الأنظمة الحاكمة لأن هذا المنصب من اختصاص الإمام المهدي المعصوم دون سواه، وانزووا في ركن التعبد والفقه بعيدا عن السلطة والسياسة، غير أن ذلك لم يمنع من أن تتخللها بعض المراحل التاريخية التي وقفوا فيها إلى جانب الدول التي تبنت العقيدة الشيعية كما هو الحال مع الدولة الصفوية.

وضمن هذه التفاعلات تشكلت نظرية ولاية الفقيه لتكتمل مع الخميني بتأسيسه للجمهورية الإسلامية في إيران يقف على رأسها المرشد الأعلى نائب الإمام ويعمل على تهيئة الظروف لظهور المهدي المنتظر، وهنا يقدم المعنى الثاني الإيجابي للانتظار والذي يقتضي العمل وليس الانتظار السلبي حتى الظهور الذي ساد الفكر الشيعي لعصور طويلة، ما يعني أن دولة الولي الفقيه هي المرحلة الانتقالية التي تسبق دولة المهدي، وعلى هذا الأساس بدأت جمهورية الخميني في تصدير ثورتها لدول الجوار وتجنيد الشيعة حيثما وجدوا لتحقيق أهدافها من مدخل قرب الظهور والخلاص، حيث شكل ذلك الأرضية التي اشتغلت عليها إيران في الوسط الشيعي لتحقيق فكرة حكومة المهدي التي جذبت الحركات الشيعية إلى إيران وسعت لتحقيق نفس الهدف وهو تهيئة الظروف للإمام الثاني عشر المنتظر، وذهب البعض إلى اعتبار الثورة الخمينية إحدى علامات الظهور.

ويتجلى النفس المهدوي عند الشيعة اليوم ويظهر في النشاطات المتعلقة بهذا الموضوع والطقوس والشعائر الدينية التي تقام في ذكرى مولده المصادفة لمنتصف شعبان حيث يقام دعاء الندبة لتعجيل فرج صاحب العصر والزمان وتقام العديد من النشاطات والفعاليات في الحسينيات وغيرها، ومن مظاهر حضور هذه العقيدة أيضا أسماء الجمعيات والتنظيمات الشبابية ككشافة المهدي لحزب الله وجيش المهدي التابع للتيار الصدري فضلا عن المراكز المتخصصة في الدراسات المهدوية والمجلات والمواقع والمنتديات التي تحمل هذا الاسم المستهدف بها كل فئات المجتمع لغرس هذه العقيدة وتجذيرها[1].

المهدوية والمقاومة.. نصر الله والصدر أنموذجا

تتقاطع المشاريع الشيعية عند نقطة ظهور المهدي انطلاقا من أهميته في العقيدة الشيعية كما أسلفنا فهو الهدف الأسمى لكل القوى الشيعية، وهناك حلقة مترابطة في البنية الثقافية الشيعية (بين الألم الحسيني والأمل المهدوي) أو بين المظلومية الكربلائية التي تعبر عن معاناة وألم الشيعي، هذا الألم الذي يستمر معه طول مرحلة الانتظار بأمل ظهور المهدي ليتحقق الفرج.

وعلى غرار كل الحركات الثورية فإن مفهوم المقاومة في إطاره الشيعي يستمد من موروثه الثقافي والديني وعند العودة لهذا التراث فلا يوجد أفضل من شهادة الحسين ومواجهته للظلم وتحديه له وثباته من أجل حقه ليتخذ كمثل أعلى عند المقاوم الشيعي وهذا ما يفسر حضوره الدائم في أدبيات المقاومة الشيعية (حزب الله والصدر) إذ يعتبر الحسين والمهدي عنصر الشحن العاطفي للمقاومة الشيعية، فهما يعتبران الروح الأساسية لولادتها واستمرارها ونهضتها وصمودها وطريقة عملها على كل الصعد. فكل مقاوم في حزب الله مُصنّف كرجل يقاتل بين يدي الحسين ويتحضّر للقتال بين يدي حفيده المهدي[2].

---

(١) انظر على سبيل المثال: مجلة المهدي على الرابط التالي : http://www.mahdimagazine.net/ ، والموقع الإعلامي لجمعية كشافة المهدي على الرابط : http://www.almahdiscouts.net/ ، وموقع مركز الدراسات المتخصصة في الإمام المهدي على الرابط: http://www.almahdiscouts.net/ ، وشبكة محبي وأنصار المهدي على الرابط: http://www.al-mahdi.org/، وغيرها من المواقع.

(٢) من عاشوراء الحسين إلى المهدي والظهور وعلاقة المقاومة الإسلامية في لبنان، على الرابط: http://samidoun.wordpress.com/2010 /12/06

وفي حالة التيار الصدري فإنه عقب احتلال الولايات المتحدة للعراق أسس مقتدى الصدر جيش المهدي لمقاومة الاحتلال الأمريكي، لاشك أن اختيار الاسم ليسا عبثيا فهو يحمل مدلولاً عقائدياً بإقرار من مقتدى الصدر الذي أفتى بأنه لا يعتبر ميليشيا بل جيشاً عقائدياً[١] وهنا أيضا يتجسد الربط بين مفهومي المهدوية والمقاومة عندما يذهب مقتدى الصدر إلى أبعد من مقاومة الاحتلال ويعتبر أن دور جيش المهدي هو عودة الإمام وليس فقط محاربة الولايات المتحدة الأمريكية، ويتهم القوات الأمريكية بأنها لم تأتِ إلى العراق من أجل السنة أو الشيعة وإنما جاءت للتصدي لخروج المهدي المنتظر[٢].

وبالعودة إلى تاريخ جيش المهدي في مقاومة الاحتلال نجد أن أبرز مواجهة له مع القوات الأمريكية وقعت سنة ٢٠٠٤، وكانت مواجهة محدودة بعد دخول تلك القوات مدينة كربلاء والنجف المقدسة عند الشيعة وصفها الصدر بأنها دفاع عن النفس وباستثناء هذه المواجهة فقد ارتبط اسم جيش المهدي بالجرائم الطائفية التي ارتكبت بحق أهل السنة والجماعة التي قامت بها فرق الموت التابعة لجيشه، ويعج موقع اليوتيوب بمقاطع الفيديو التي توثق تلك الجرائم ويظهر في أحدها زعيم التيار الصدري مقتدى الصدر وهو يعرض خدمات مليشياته لقتل أهل السنة.

أبرز تناقض في الأطروحة الصدرية للمقاومة (إذا جاز تسميتها أطروحة) هو موقفه الرافض للاحتلال ورفعه شعار محاربة القوات الأمريكية وعدم المشاركة في العملية السياسية التي تجري في ظله واعتباره الانتخابات غير شرعية، ثم نجده يقول بأنه لا يغامر للتضحية بكوادره لأنه لا يملك القوة الكافية لمواجهة الأمريكان وما جرى معهم كان دفاعا عن النفس، وينتهج نهج المقاومة السلمية من خلال العمل السياسي ليشارك في الانتخابات التي كان يرفضها ويصبح له نواب ووزراء في الحكومة، ويعلن صراحةً الحرب الطائفية ضد أهل السنة والجماعة. هذه التناقضات تبين مفهوم ومعنى المقاومة عند الصدر والتي تعني مواجهة العدو الأول للمهدي المنتظر وهم أهل السنة والجماعة واستغلال ظرف الاحتلال لخدمة هذا المشروع الأسمى.

وما دامت هذه حقيقة المقاومة الصدرية للاحتلال الأمريكي في العراق التي لا يختلف معه فيها حزب الله كثيرا حيث ظل موقفه من المقاومة العراقية مرتبكا خاصة في ظل الدعم الإيراني المطلق للقوى الشيعية المتعاونة مع الاحتلال، من هنا يمكن فهم موقفهما من الثورة السورية والتي تبين أن السبب الحقيقي في دعم حسن نصر الله للأسد هو انتماء النظام النصيري للمشروع المهدوي أيضا حيث كان هو الآخر يعمل على محاولة محو عقيدة أهل السنة والجماعة وفتح المجال لنشر التشيع في سوريا وخدمة المصالح الإيرانية في المنطقة.

وما كان بالأمس تحليلا بدأ يظهر ما يؤكده في الواقع، ويتكشف ذلك أكثر في العقيدة العسكرية الطائفية العلوية في الجيش الذي بدأت تظهر في تصريحات ضباطه وجنوده وشبيحته بعد أفعالهم، وبالنظر للخريطة يتضح تركيز النظام عملياته التدميرية الكبرى على سفوح جبال العلويين الشرقية والسهول الممتدة حولها من حمص وحماه جنوبا إلى إدلب شمالا والتي يتم إجبار المواطنين على النزوح منها شرقا وشمالا

---

(١) سارة علي، جيش المهدي البداية والنهاية، موقع المسلم، ١٤٣٠/٠٢/١٩، على الرابط: http://almoslim.net/node/107047

(٢) مقتدى الصدر زعيم مليشيا جيش المهدي والتيار الصدري، موسوعة الرشيد، ٢٠١٠/٠٦/١٤، على الرابط: http://www.alrashead.net/index.php?partd=19&derid=352

بهدف خلق مناطق خالية تشكل حدودا للدولة العلوية التي يتخيلها النظام مأرزا أخيرا له[1].

تلك هي الحقيقة، فليس التحالف الإستراتيجي وأهمية سوريا بالنسبة لحزب الله هي التي دفعته للوقوف إلى جانب النظام السوري وتسخير كل إمكانياته للدفاع عنه، كما أنه ليس مناهضة الأسد للوجود الأمريكي التي برر مقتدى الصدر بها موقفه الداعم له - والذي حصل نظيره على وسام الجمهورية السورية – لأن تواطؤ موقف التيار الصدري من الوجود الأمريكي طيلة ثماني سنوات عاثوا فيها في العراق فسادا معلوم للجميع.

المستويات الثلاثة للعلاقات الشيعية - الشيعية:

اجتماع القوى الشيعية بمختلف اتجاهاتها خلف المشروع المهدوي لا ينفي وجود صراعات بينها وأنها ليست على توافق مستمر، كما لا يعني هذا التنافس بينها في المقابل غياب هذا الهدف المشترك، فتلك الصراعات البينية قد تحدث ساتراً دخانيا يحول دون وضوح الرؤية لحقيقة القضية، لذا وجب التنبيه لمستويات العلاقات الشيعية – الشيعية.

فالمتابع للأزمة السياسية الحالية في العراق والمتعلقة بسحب الثقة من المالكي والصراع الذي نشب حولها خاصة ضمن التحالف الشيعي بعد انضمام مقتدى الصدر إلى المطالبين بإقالة المالكي وتصريحاته ضده التي وصفه فيها بالنصف ديكتاتور وتصريحات الناطق باسم التيار ضد إيران التي اتهمها بالضغط عليه من أجل عدم سحب الثقة من المالكي واتهامات التيار الصدري أيضا لإيران بدعم عصائب أهل الحق المنشقة عنه، هذه الخلافات تمثل المستوى الأول من العلاقات الشيعية الشيعية وهو التنافس والصراع على المصالح والنفوذ ضمن نفس الدائرة، على غرار الصراع بين حركة أمل وحزب الله الذي أخذ شكلا مسلحا وعنيفا في الثمانينات والتسعينات الماضية، أو كالصراع بين المرجعيات حيث اتُّهم مقتدى الصدر بقتل عبد المجيد الخوئي، أو كالتنافس الحالي بين مرجعية السيستاني والشاهرودي، وبين مرجعية النجف وقم وغيرها.

والمستوى الثاني من العلاقات الشيعية الشيعية هو: على مستوى الدولة، وينعكس في موقف الصدريين من إيران الذي أشرنا إليه أعلاه وموقف المالكي من سوريا قبل الثورة، حيث اتهمها بدعم الإرهاب في العراق وحاول تدويل الملف بمطالبة تدخل المحكمة الجنائية الدولية.

والتركيز على هذين المستويين من العلاقات ومحاولة التأسيس عليهما لتكوين صورة لطبيعة المشروع الشيعي وأسسه يقودان إلى نتائج خاطئة ويحدثان إرباكاً فيها، من هنا وجب التركيز على المستوى الثالث من هذه العلاقات البينية، والذي يجيب على سؤال: لماذا عاد في الأخير مقتدى الصدر إلى الحضن الإيراني وتراجع عن سحب الثقة من المالكي؟ ولماذا تراجع الأخير أيضا عن كل عدائه للأسد ووقف إلى جانبه في هذه الأزمة؟؟

هنا يبرز المستوى الثالث من العلاقات الشيعية - الشيعة في مواجهة خطر/ طرف من خارج الدائرة نفسها والتي تأسست على قاعدة عقائدية تتجسد في العقيدة المهدوية، حيث تتراجع كل المصالح الشخصية والفئوية لخدمة المشروع المهدوي، والذي يشكل

---

[1] عبد الله بن بجاد العتيبي، الأسد والعلوية.. ميراث الأب وإرث الابن، الشرق الأوسط اللندنية، العدد ١٢٢٧٥، ٢٠١٢/٠٧/٠٧، على الرابط:
http://www.aawsat.com/leader.asp?section=3&issueno=12275&article=685326

النظام السوري أحد أهم أعمدته بفتح المجال لسوريا لتكون قاعدة عبور نحو المبشرين الشيعة في المغرب العربي، ومركز تجمع للقوى الشيعية في الخليج للتخطيط والتدريب، فضلا على العمل الدؤوب لها في المجال السوري نفسه.

فالخلافات السياسية بين المالكي والصدر لم تمنع الطرفين من دعم الأسد، ولم تمنع الخلافات بين المرجعيات من إفتائهم بالجهاد إلى جانب النظام النصيري.

الخلاصة:

الأحزاب الإسلامية السنية بالأساس لها مشاريع إسلامية هدفها إعلاء كلمة الله وتطبيق الشريعة الإسلامية تحت شعار (الإسلام هو الحل) وغيره من الشعارات، والأحزاب الشيعية السياسية هي أيضا لها مشاريع دينية تهدف لتطبيق الشريعة وتحقيق المشروع الإسلامي من منظور شيعي، والمتمثل في عودة الإمام الثاني عشر، وقياسا على هذا فإن المقاومة السنية ممثلة في حماس تختلف أيضا عن المقاومة الشيعية ممثلة في حزب الله.

وبنظرة بسيطة لأدبيات الأحزاب الشيعية بداية من نظام الولي الفقيه في إيران إلى كل الأحزاب الشيعية ستكشف تمركزها حول العقيدة المهدوية، ومشروع المقاومة الذي كان يقوده حزب الله لا يخرج عن هذا الإطار.

فتاريخ الشيعة خلال القرون الماضية يبين أن نشاطهم كان موجهاً للعدو الداخلي من أهل السنة تحديدا وأن العقيدة المهدوية ترتبط بهذا التاريخ واستمرارية له، وهي التي تحكم وتحدد طبيعة العلاقات السنية – الشيعية.

ومقتضيات المرحلة جعلت المقاومة الشيعية تبرز بالمفهوم الجزئي في مواجهة العدو الإسرائيلي، مما جعلها لا تختلف عن المقاومة بالمفهوم السني، رغم أن خطاب نصر الله هو خطاب حسيني كربلائي - كما يحبذ أنصاره وصفه - ، مع الإشارة إلى أنه كان يقف عند حدود تحرير أرضه ثم تفرغ بعدها لخدمة السياسات الإيرانية في المنطقة.

ولكن ذلك لم يمنع من وجود مقاومة شيعية في مفهومها المهدوي الشامل تواجه العدو الأصلي لها وهو أهل السنة والجماعة، تجسدت في محاولات أحزاب الله لتغيير الأنظمة في الخليج، والحرب مع العراق التي هدف الخميني منها إلى تغيير النظام وليس تحرير أرضه، وحروب الحوثيين في اليمن وسعيهم لتغيير النظام أيضا، وفي الثورة السورية لم يكن الموقف منها بعيداً عن هذه المعتقدات التي وضعت حزب الله في الواجهة مباشرة، وعند تخييره بين الأعداء اختار العدو التاريخي السني على العدو الظرفي الإسرائيلي.

حتى أنه لم يقم بأي رد فعل تجاه الانتهاكات السورية للسيادة اللبنانية الأمر الذي يؤكد ضبابية شعار معادلة الشعب والجيش والمقاومة الذي يرفعه حزب الله، وموقف الصدر الطائفي من سنة العراق على غرار موقف نصر الله هو جزء من نظرة شيعية عقدية عدائية لأهل السنة، بل حتى التجمعات الشيعية في الخليج انحازت إلى جانب النظام السوري، ومثلهم دون استثناء المتشيعون في دول المغرب العربي ومصر الذين لم يشذوا عن تأييد بشار المجرم.

فهل نعي الدرس من الحاضر بعدما فرطنا في التاريخ؟

مسلمو الروهنجيا أو الرُوِينجية
أكبر مجموعة "بدون" وأكثرهم اضطهاداً في العالم

موقع بادر



تعريف عام

الروهنجيا:

كلمة «روهنجيا» مأخوذة من «روهانج» اسم دولة أراكان القديم وتطلق على المسلمين المواطنين الأصليين في أراكان المحتلة من قبل دولة ميانمار (بورما)، وهم أقلية مسلمة مضطهدة تعيش مأساة حقيقية.

أراكان:

كانت أراكان دولة إسلامية مستقلة حرة في جنوب شرق آسيا، استمرت في الوجود عدة قرون قبل أن تُحتل من بورما عام ١٧٨٤م فأصبحت بعد ذلك واحدة من ١٤ ولاية ومقاطعة لاتحاد بورما – ميانمار حاليا-

الموقع الجغرافي:

يقع إقليم أراكان في الجنوب الغربي لميانمار على ساحل خليج البنغال، والشريط الحدودي مع بنغلاديش، وتبلغ مساحة الإقليم حوالي خمسين ألف كيلومتر مربع، أي عُشر مساحة ميانمار تقريبا. وتقع ميانمار في الجنوب الشرقي لقارة آسيا، ويحدُّها من الشمال الصين والهند، ومن الجنوب خليج البنغال والهند وبنغلاديش.

العاصمة: تعد أكياب عاصمة مقاطعة أراكان، أما عاصمة ميانمار فهي رانجون.

عدد السكان ونسبة المسلمين:

عدد سكان ميانمار ٥٣,٩٩٩,٨٠ (٢٠١١) ونسبة المسلمين تبلغ ٢٠٪ أي بحدود ١٠ ملايين نسمة حسب منظمة تضامن الروهنجيا التي تدافع عن حقوق أبناء أراكان منذ ١٩٨٣ وهناك بعض المصادر تبالغ في تقليص عددهم فبحسب CIA Fact Book فإن نسبة المسلمين تبلغ ٤٪.

أما عدد سكان منطقة أراكان فحوالي ٥,٥ ملايين ونسبة المسلمين فيها ٩٠٪. ويعيش منهم مليونان داخل ميانمار، أما الآخرون فهاجروا إلى خارج البلاد بسبب الاضطهاد الذي تمارسه هذه الدولة ضدهم.

وينحدر مسلمو ميانمار من أصول مختلفة مثل: البنغالية والعرب والمورو والأتراك والفرس والمنغول والباتان ومعظمهم يشبه أهل القارة الهندية شكلاً ولوناً.

اللغة:

تسمى لهجة مسلمي أراكان «الروهنجيان» وهي مؤلفة من كلمات وتعبيرات من اللغة العربية والفارسية والأردية والبنغالية، وهي ليست مكتوبة لحد الآن.

دخول الإسلام إلى أراكان:

دخل الإسلام أراكان في القرن السابع الميلادي مع قدوم التجار العرب المسلمين إليها، ثم تتابعت الوفود الإسلامية إليها من أنحاء المعمورة. فأقبل عدد كبير من الأهالي على اعتناق الإسلام، وكوَّن شعب الروهنجيا مملكة دام حكمها ٣٥٠ عاماً، من ١٤٣٠م إلى عام ١٧٨٤م، فقد شكلت أول دولة إسلامية في عام ١٤٣٠م بقيادة الملك سليمان شاه، وحكم بعده (٤٨) ملكاً مسلماً على التوالي، وكان لهم عملات نقدية تتضمن شعارات إسلامية مثل كلمة التوحيد. ومما يدلّ على قِدَم وجود المسلمين في هذه الدولة أيضاً بعض الآثار التاريخية كمسجد (بدر مقام) في (أكياب) عاصمة (أراكان)، و(مسجد سندي خان) الذي بني

منذ ٥٦٠ عاماً، ومسجد (الديوان موسى) الذي بُني عام ١٢٥٨م، ومسجد (ولي خان) الذي بني في القرن الخامس عشر الميلادي.

تاريخ الاستعمار:

احتُلت أراكان من قِبَل الملك البوذي (بوداباي) عام ١٧٨٤م الذي قام بضم الإقليم إلى ميانمار خوفاً من انتشار الإسلام في المنطقة، واستمر البوذيون البورميون في اضطهاد المسلمين ونهب خيراتهم وتشجيع البوذيين الماغ (أصل هندي) على ذلك طوال فترة احتلالهم.

وفي عام ١٨٢٤م احتلت بريطانيا ميانمار، وضمّتها إلى حكومة الهند البريطانية الاستعمارية. وفي عام ١٩٣٧م جعلت بريطانيا ميانمار مع أراكان مستعمرة مستقلة عن حكومة الهند البريطانية الاستعمارية كباقي مستعمراتها في الإمبراطورية آنذاك، وعُرفت بحكومة ميانمار البريطانية.

واجه المسلمون الاستعمار الإنجليزي بقوة مما جعل بريطانيا تخشاهم، فبدأت حملتها للتخلّص من نفوذ المسلمين باعتماد سياستها المعروفة (فرِّق تَسُد) فعَمَدَتْ على تحريض البوذيين ضد المسلمين، وأمدّتهم بالسلاح حتى أوقعوا بالمسلمين مذبحةً عام ١٩٤٢ فتكوا خلالها بحوالي مائة ألف مسلم في أراكان!

وفي عام ١٩٤٨م، منحت بريطانيا الاستقلال لميانمار شريطة أن تمنح لكل العرقيات الاستقلال عنها بعد عشر سنوات إذا رغبت في ذلك، ولكن ما أن حصلوا على الاستقلال حتى نقضوا عهودهم، ونكثوا وعودهم، واستمروا في احتلال أراكان بدون رغبة سكانها من المسلمين (الروهنجيا) والبوذيين (الماغ) أيضاً، وقاموا بأبشع الممارسات ضد المسلمين.

أحوال مسلمي الروهنجيا في الوقت الحاضر

لم تتغير أحوال المسلمين الروهنجيا، بعد الانتخابات التي جرت في نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠١٠م، حيث مازال مخطط إخراج المسلمين من أراكان موجوداً، رغم إعلان حكومة ميانمار تغيير نظام الدولة من نظام عسكري إلى نظام ديمقراطي، لكن هذا الإعلان لا علاقة له بالحقيقة، ولم يقبل العالم والأمم المتحدة إعلانهم ونتائج انتخاباتهم. يقول د. محمد يونس، رئيس منظمة تضامن الروهنجيا: «إن بورما تخطط لإخراج المسلمين من أراكان وجعلها مستوطنة للبوذيين الجبليين، ولن يحدث التغيير بالانتخابات التي تم إجراؤها تحت التهديد العسكري، ولن ينال المسلمون الروهنجيا حقوقهم إلا بأحد طريقيْن: إما أن تكون أراكان دولة إسلامية مستقلة، وإما أن تُجرى انتخابات في أراكان تحت رعاية الأمم المتحدة».

وقد تحولت معاناة المسلمين الروهنجيا إلى اتجاه جديد بعد تطبيق قانون الجنسية الجديد في ميانمار عام ١٩٨٢م، فبموجب هذا القانون المزعوم تم حرمانهم من تملك العقارات وممارسة أعمال التجارة وتقلد الوظائف في الجيش والهيئات الحكومية، كما تم حرمانهم من جميع الحقوق الإنسانية الطبيعية والأساسية مثل حق التصويت في الانتخابات البرلمانية، وتأسيس المنظمات وممارسة النشاطات السياسية. ولم تتخذ سلطات الاحتلال البورمية الخطوات الجديدة ضد المسلمين في أراكان منذ ذلك التاريخ فحسب، بل ما زالت تواصل تطبيق الخطط القديمة ضد المسلمين؛ لإرغامهم على ترك العقيدة الإسلامية، وإجبارهم على مغادرة بلدهم.

الصعوبات والاضطهادات التي تواجه المسلمين

الناحية الاجتماعية

❖ يتعرض المسلمون في ميانمار وخصوصاً في أراكان لسلسلة لا تنتهي من أعمال الشغب التي يذهب ضحيتها الأرواح والممتلكات، ولم تتخذ السلطات أية إجراءات أمنية لحماية المسلمين.

❖ يطوف الجنود الميانماريون وهيئات التنفيذ

القضائي وسفاحو (الماغ) البوذيون في أنحاء القرى المسلمة حيث يقومون بإذلال كبار السن وضرب الشباب المسلم ودخول المنازل وسلب الممتلكات.

❖ يتم إرغام المسلمين على تقديم الأرز والدواجن والماعز وحطب النار ومواد البناء بالمجّان طِوال العام إلى الجنود وهيئات التنفيذ القانونية.

❖ يتم إجبار السكان على العمل القسري لدى الجيش أثناء التنقلات أو بناء ثكنات عسكرية أو شق طرق وغير ذلك من الأعمال الحكومية أو في بناء الطرق والسدود سخرة دون مقابل وذلك ضمن سياسة الاكتفاء الذاتي التي يعتمدها الجيش.

❖ على الصعيد السكاني فإن الحكومة ما زالت تقوم بإحداث تغييرات جذرية في التركيبة السكانية لمناطق المسلمين، فلا توجد أي قرية أو منطقة إلا وأنشأت فيها منازل للمستوطنين البوذيين سلّمتهم السلطة فيها. ومنذ عام ١٩٨٨م قامت الحكومة بإنشاء ما يسمى بـ«القرى النموذجية» في شمال أراكان، حتى يتسنّى تشجيع أُسَر البوذيين على الاستيطان في هذه المناطق.

❖ قانون الزواج والذي يشترط موافقة الدولة على الزواج وبدفع مبلغ عال وغالبا ما تدفع الرشاوى لقاء هذا الإذن، وقد يتأخر الإذن لسنوات، وتصل عقوبة الزواج بغير إذن إلى ١٠ سنوات سجن.

❖ **شهادات الولادة:** فلا يسمح للعائلة إلا بمولودين فقط ومن ينجب أكثر من ولدين يوضع أولاده على (القائمة السوداء) وهي تعني أنهم غير معترف بهم وليس لهم حقوق وتتعرض العائلة للعقوبة مما يضطرها في أحيان كثيرة إلى إخفاء أولادها عند التعداد السكاني وكثيرا ما يسجل أولاد القائمة السوداء باسم جداتهم وأقاربهم خوفا عليهم.

❖ عدم السماح لهم باستضافة أحد في بيوتهم ولو كانوا أشقاء أو أقارب إلا بإذن مسبق، أما المَبيت فيُمنع منعاً باتاً، ويعتبر جريمة كبرى ربما يعاقَبُ عليها بهدم منزله أو اعتقاله أو طرده من البلاد هو وأسرته.

❖ حرمان أبناء المسلمين من مواصلة التعلُّم في الكليات والجامعات، ومن يذهب للخارج يُطوى قيده من سجلات القرية، أما إذا عاد فيُعتقل عند عودته، ويُرمى به في غياهب السجون، ويتم إرغام الطلاب المسلمين في المدارس الحكومية على الانحناء للعَلَم البورمي.

غير مسموح للمسلمين بالانتقال من مكان إلى آخر دون تصريح، والذي يَصعُب الحصول عليه. كما يتمّ حجز جوازات السفر الخاصة بالمسلمين لدى الحكومة ولا يُسمح لهم بالسفر للخارج إلا بإذن رسمي، ويُعتبر السفر إلى عاصمة الدولة (رانجون) أو أية مدينة أخرى جريمة يُعاقب عليها.

❖ **الطرد أو التهجير الجماعي المتكرر خارج الوطن مثلما حصل في الأعوام التالية:** عام ١٩٦٢م عقب الانقلاب العسكري حيث طرد أكثر من ٣٠٠,٠٠٠ مسلم إلى بنغلاديش. وفي عام ١٩٧٨م طرد أكثر من نصف مليون مسلم، في أوضاع قاسية جداً، مات منهم قرابة ٤٠,٠٠٠ من الشيوخ والنساء والأطفال حسب إحصائية وكالة غوث اللاجئين التابعة للأمم المتحدة.

وفي عام ١٩٨٨م تم طرد أكثر من ١٥٠,٠٠٠ مسلم، بسبب بناء القرى النموذجية للبوذيين في محاولة للتغيير الديموغرافي. وفي عام ١٩٩١م تم طرد قرابة (٥٠٠,٠٠٠) مسلم، وذلك عقب إلغاء نتائج الانتخابات العامة التي فازت فيها المعارضة بأغلبية ساحقة، انتقاماً من المسلمين لأنهم صوتوا مع عامة أهل البلاد لصالح الحزب الوطني الديمقراطي.

❖إصدار قانون الجنسية الجديد الذي صدر عام ١٩٨٢ وهو يُقسّم المواطنين كما يلي:

مواطنون من الدرجة الأولى وهم: (الكارينون والشائيون والباهييون والصينيون والكامينيون).

مواطنون من الدرجة الثانية وهم: خليط من أجناس الدرجة الأولى.

مواطنون من الدرجة الثالثة وهم: المسلمون حيث صُنِّفوا على أنهم أجانب دخلوا بورما لاجئين أثناء الاحتلال البريطاني حسب مزاعم الحكومة

فسُحبت جنسيات المسلمين وصاروا بلا هوية وحُرموا من كل الأعمال وصار بإمكان الحكومة ترحيلهم متى شاءت.

الناحية الاقتصادية:

❖ تصادر الحكومة الميانمارية أراضي المسلمين وقوارب صيد السمك دون سبب واضح.

❖ فرض الضرائب الباهظة على كل شيء، والغرامات المالية، ومنع بيع المحاصيل إلا للعسكر أو من يُمثِّلُهم بسعر زهيد بهدف إبقاء المسلمين فقراء، أو لإجبارهم على ترك الديار.

❖ منع المسلمين من شراء الآلات الزراعية الحديثة لتطوير مشاريعهم الزراعية.

❖ إلغاء العملات المتداوَلة بين وقت وآخر من دون تعويض، ودون إنذار مسبق.

❖ إحراق محاصيل المسلمين الزراعية وقتل مواشيهم.

❖ عدم السماح للمسلمين بالعمل ضمن القطاع الصناعي في أراكان.

الناحية الدينية:

❖ لا تسمح الحكومة بطباعة الكتب الدينية وإصدار المطبوعات الإسلامية إلا بعد إجازتها من الجهات الحكومية وهذا أمر صعب جداً.

❖ عدم السماح للمسلمين بإطلاق لِحاهُم أو لبس الزيّ الإسلامي في أماكن عملهم.

❖ تصادر الحكومة ممتلكات الأوقاف والمقابر المخصصة لدفن المسلمين وتُوزّعها على غيرهم أو تحوّلها إلى مراحيض عامة أو حظائر للخنازير والمواشي!!

❖ يتعرّض كبار رجال الدين للامتهان والضرب ويتم إرغامهم على العمل في معسكرات الاعتقال.

❖ يُمنع استخدام مكبرات الصوت لإطلاق الأذان، وقد مُنع الأذان للصلاة بعد رمضان ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣م).

❖ تتدخل الحكومة بطريقة غير مشروعة في إدارة المساجد والمدارس بهدف فرض إرادتها عليها.

❖ يُمنع المسلمون من أداء فريضة الحجّ باستثناء قلة من الأفراد الذين تعرفهم الحكومة وترضى عن سلوكهم.

❖ منع ذبح الأضاحي.

❖ هدم المساجد وتحويلها إلى مراقص وخمّارات ودُور سَكَن أو تحويلها إلى مستودعات وثكنات عسكرية ومتنزّهات عامة، ومصادرة الأراضي والعقارات الخاصة بالأوقاف الإسلامية وتوزيعها على المُاغ البوذيين. وقد قال نائب رئيس اتحاد الطلاب المسلمين في إقليم أراكان إبراهيم محمد عتيق الرحمن في حديث لـ«وكالة الأنباء الإسلامية – إينا»: إنّ حكومة ميانمار قامت خلال عام ٢٠٠١م بتدمير نحو ٧٢ مسجداً وذلك بموجب قانون أصدرته منعتْ بموجبه بناء المساجد الجديدة أو ترميم وإصلاح المساجد القديمة، كما أن هذا القانون ينص على هدم أي مسجد بُنِيَ خلال العشر سنوات الأخيرة.

❖ حملات التنصير وخاصة بعد إعصار نرجس الذي ضرب بورما عام ٢٠٠٨ حيث بلغ عدد ضحايا هذا الإعصار على الأقل ٧٨ ألف قتيل و٥٦ ألف مفقود وملايين المشردين.

❖ المحاولات المستميتة لطمس الثقافة الإسلامية وتذويب المسلمين في المجتمع البوذي البورمي قسراً، فلقد فرضوا الثقافة البوذية والزواج من البوذيات والتسمّي بأسماءٍ بوذية وعدم لبس الحجاب للبنات المسلمات.

❖ طمس الهوية والآثار الإسلامية: وذلك بتدمير الآثار الإسلامية من مساجد ومدارس تاريخية، وما بقي يُمنع منعاً باتاً من الترميم

فضلاً عن إعادة البناء أو بناء أي شيء جديد له علاقة بالدين من مساجد ومدارس ومكتبات ودُور للأيتام وغيرها، وبعضها تهوي على رؤوس الناس بسبب مرور الزمن، والمدارس الإسلامية تُمنع من التطوير أو الاعتراف الحكومي والمصادقة لشهاداتها أو خرّيجيها.

وضع المرأة المسلمة

❖ رفع سن الزواج للفتيات لـ ٢٥ عاماً والرجال ٣٠ عاماً.

❖ منع عقود النكاح إلا بعد إجراءات طويلة وإذن من السلطات، وإعطاء حُقَنْ مانعة للحمل للنساء المسلمات في حالات كثيرة.

❖ منع التعدد منعاً باتا مهما كان السبب.

❖ منع الزواج مرة أخرى للمطلق أو الأرمل إلا بعد مرور سنة، ومن يخالف ذلك يُعرّض نفسه للسجن والغرامات الباهظة أو الطرد من البلد. والهدف من كل ذلك هو القضاء عليهم أو تقليل أعدادهم.

❖ إذا حَمَلَت الزوجة فلا بدّ من ذهابها طِبْقاً لقرار السلطات الحاكمة إلى إدارة قوّات الأمن الحدودية «ناساكا» لأخذ صورتها الملوّنة كاشفة بطنها كلّ شهر حتّى تضع حملها، وفي كلّ مرّة لا بدّ من دفع مبلغ كبير، وذلك للتأكّد كما تدّعي السلطة من سلامة الجنين، ولتسهيل إحصائية المولود بعد الولادة.

❖ يتم أخذ النساء عنوةً من منازلهن وإجبارهن على العمل في معسكرات الجيش دون مقابل.

❖ إجبار الفتيات المسلمات على الزواج من البوذيين.

❖ الحضور الإجباري للبنات المسلمات غير المتزوجات إلى قيادة القوات المسلحة والعمل لمدة ٦ أشهر تحت إشراف أفراد قوات حرس الحدود.

❖ انتهاك حُرُمات النساء وإجبارهنّ على خلع الحجاب.

الهجرة واللاجئون

بسبب المعاناة الكبيرة التي تعرض لها مسلمو الروهنجيا فقد قامت هجرات جماعية كان أكبرها في العامين ١٩٧٨ و ١٩٩١ حيث فرّ معظم الروهنجيين إلى بنجلاديش ودول أخرى مثل: السعودية، وباكستان، وماليزيا، وليبيا، وتايلاند، والإمارات العربية المتحدة، وغيرها، وما زالت الهجرة والهروب عبر الحدود يتمّان بشكل دائم. والمحظوظون هم من يصلوا الى بنجلاديش عبر النهر الفاصل بينهما أو من خلال السياج الحدودي ولكن من يقومون بالهرب بالقوارب من خلال الخليج قد يتم قذفهم إلى تايلاند والتي تقوم بقذفهم ثانية إلى المحيط ولكن بعد فصل محركات القوارب ليواجهوا الموت المحقق في خضم المحيط.

أعداد اللاجئين

ويقدر عدد اللاجئين الأراكانيين في بنجلاديش بنحو ٢٠٠,٠٠٠ إلى ٤٠٠,٠٠٠، وفي تايلاند حسب ما تعتبره السلطات التايلاندية أنهم مهاجرون غير شرعيين فيبلغ عددهم حوالي ٢٠,٠٠٠ شخص، ووفقاً لاتحاد حدود تايلاند - بورما، وهو مجموعة من المنظمات الإنسانية الدولية العاملة على طول الحدود البالغة ١,٨٠٠ كيلومتر، يعيش نحو ١٤٢,٠٠٠ لاجئ بورمي في تسعة مخيمات تديرها الحكومة، أما مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين فقد قامت حتى الآن بتسجيل ١٠٠,٠٠٠ لاجئ بورمي في تايلاند.

أما في ماليزيا فتقدر لجنة حماية حقوق عمال بورما ومقرها كوالالمبور عدد المهاجرين من ميانمار المسجلين وغير المسجلين في ماليزيا بحوالي ٥٠٠,٠٠٠ (ايرين). أما في السعودية فيقدر عددهم بنحو نصف مليون،

وفي باكستان ٣٥٠ ألفاً.

وعندما ازداد عدد اللاجئين في بنجلادش، بادرت كثير من المنظمات الإسلامية بالوقوف بجانب إخوانهم الأراكانيين بالدعم والمساعدات الغذائية والطبية وغيرها. ولكن، بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م بالولايات المتحدة، منعت الحكومة البنغالية المنظمات الإسلامية من العمل في مخيمات اللاجئين الروهنجيا على الحدود.

مخيمات اللاجئين في بنغلادش

مخيمات اللاجئين البورماويين في بنجلادش نوعان؛ فهناك مخيمات مسجَّلة لدى حكومة بنجلاديش ولدى المفوضية العليا لشؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة، حيث يوجد ٢٨,٠٠٠ روهينجياً مسجلاً لدى المفوضية فقط، ١١,٠٠٠ منهم يقيمون في مخيم كوتوبالونج للاجئين خارج كوكس بازار و١٧,٠٠٠ غيرهم في مخيم نايابار الذي يقع على مسافة أبعد جنوباً. وهؤلاء يجدون بعض المواد الغذائية والعلاج من منظمات الأمم المتحدة، رغم أنها مساعدات ضئيلة جداً مقارنة باحتياجات وعدد اللاجئين الروهنجيا أما المخيمات الأخرى غير مسجَّلة (غير رسمية)، ويوجد بها أكثر من مائتي ألف نسمة، يعيشون في مخيمات اللاجئين على الحدود بين بنجلاديش وبورما، في أوضاع مأساوية تنذر بكارثة إنسانية، فلا ماء ولا غذاء ولا دواء ولا حياة لهم إلا في خيام بلاستيكية.

و كل المحاولات للخروج من المخيم تقيد بسبب الاعتقال التعسفي والطرد القسري من قبل السلطات البنغالية، ويتعرض اللاجئون لأنواع شتى من الأوبئة والأمراض الفتاكة، مثل الحمى والملاريا والأمراض الجلدية والإسهال المزمن، ويموت عدد كبير من الأطفال بسبب الأمراض الخطيرة، كما يموت عدد من النساء بسبب الولادة المتعثرة لعدم وجود مستشفى غير الرسمي، فقد حذرتْ منظمةُ حقوق الإنسان الأمريكيَّة (أطباء من أجل حقوق الإنسان)، في تقرير لها أن ٢٠٠ ألف روهنجي في بنجلاديش يُعانون من حالةٍ متدهورة من الناحية الإنسانية، وأن مسلمي روهينجا سيتعرَّضون لخطر المجاعة إذا لم يتم زيادة السِّلع الغذائية، وتقول المنظمة: إنَّ ١٨ ٪ من الأطفال يُعانون بالفعل من سُوء تغذية حادٍّ.

ومن جهة أخرى تقوم السلطات في بنجلادش بحملات دعائية عبر وسائل الإعلام المحلية لبث الكراهية والتحريض ضد اللاجئين الروهنجيين وتقوم أيضا بتهديد القرويين بالاعتقال إذا لم يقوموا بدورهم في إبلاغ السلطة عن جيرانهم الروهنجيا.

وهنالك كثير من الأنباء التي تتحدث عن معاناة بعض لاجئي الروهنجيا في تايلاند الذين دفعت بهم القوات البحرية التايلاندية في قوارب دون محركات وسط الأمواج البحرية العالية.

قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بالروهنجيا

(١٠ / ٢٠١٠) عقدت الدورة الـ ١٥ لمنظمة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة في جنيف وتم مناقشة قضية الروهنجيا فيها وكانت توصياتها:

حث المجتمع الدولي لإنشاء لجنة للتحقيق في الجرائم ضد الإنسانية التي يرتكبها النظام البورمي ضد الروهنجيا في بورما، ودعوة مجلس الدولة في بورما إلى رفع جميع القيود المفروضة على المجتمع الروهنجي، وتقديم المساعدات الإنسانية والتعليم والرعاية الصحية للمجتمع الروهنجي في ولاية أراكان

واللاجئين الروهنجيا في بنغلاديش والسعودية وماليزيا والبحث عن حل جذري لمشكلة معاناة اللاجئين الروهنجيا، والدعوة لإنشاء بعثة لتقصي الحقائق والتحقيق في جميع انتهاكات حقوق الإنسان ضد الروهنجيا في أراكان وبورما.

دعا الكونجرس الأمريكي النظام البورمي للاعتراف بالروهنجيا كمواطنين، لهم الحقوق الكاملة والمتساوية في بورما ورفع جميع القيود المفروضة على الزواج والتنقل والتعليم، ويدعو القرار أيضا إلى وضع حد لحملة النظام من الاضطهاد الديني والعرقي.

مطالب مسلمي الروهنجيا

❖ دعوة الدول والمنظمات الإسلامية للضغط على حكومة ميانمار العسكرية.

❖ تقديم الدعم والمساعدة الكاملة سياسيّاً ومعنويّاً وماديّاً للصمود حتى ينالوا حقوقهم المشروعة.

❖ تكثيف وزيادة الدعم المادي والإغاثي من قبل المنظمات والهيئات الخيرية والإسلامية العالمية.

❖ تكثيف الجهود الإعلامية، والتواصل مع كبريات وسائل الإعلام العربية والغربية، وتخصيص أوقات معينة في تلك القنوات للتعريف بالقضية والوضع الراهن، وفتح قنوات فضائية تبث بعدة لغات، وإجراء حوارات مع الحقوقيين الدوليين المعنيين بهذه القضية، لممارسة مزيد من الضغط على السلطات البوذية، وفضح ممارساتها أمام العالم أجمع.

❖ توفير المعونات الإغاثية كالغذاء والدواء والرعاية الصحية والتعليمية للاجئي أراكان خاصة في بنجلاديش وباكستان وإطلاق نداء عاجل إلى الدول المانحة من أجل الإغاثة الإنسانية وحماية الفئة من اللاجئين غير المعترف بها في بنغلاديش، والضغط على حكومة بنغلاديش للسماح الفوري بإيصال المساعدات الإنسانية للاجئين من السكان المعرضين للخطر.

❖ على الدول الإسلامية التي يوجد بها لاجئون من مسلمي أراكان تقديم التسهيلات التي يحتاجونها مثل التعليم والعمل والإقامة، كما ينبغي بناء المؤسسات التعليمية للمسلمين الروهنجيا في أماكن تواجدهم في العالم، وأن تدرس فيها مادة «الدراسة الوطنية لأراكان» كما يدرس تاريخهم وثقافتهم ولغتهم القومية كمواد أساسية لتلبية ضروراتهم ومراعاةً لمتطلباتهم، حتى تستمر رابطتهم مع الوطن وينشأ فيهم الحماس والروح والارتباط العاطفي والشعور بالمسئولية تجاه الوطن والمواطنين بداخل أراكان وخارجها.

❖ تقديم المساعدة الضرورية للحفاظ على المعاهد الدينية والأنشطة الدعوية وتنمية البرامج التعليمية في اراكان.

❖ وينبغي تأليف الكتب وترجمتها إلى اللغة الروهنجية، فبقدر ما تنشر الكتب بهذه اللغة يقترب هذا القوم إلى الحرية ويبتعدون عن العبودية. فيتأهلون لحل مشاكلهم بأنفسهم مثل الأمم الأخرى المثقفة، ويكون التعليم سائداً فيما بينهم.

احتراق إيران في لهيب الثورة السورية

د. أيمن محمد هاروش(*)

من يرمق الثورة السورية عن كثب ويحلل أحداثها يدرك أنها ثورة تتميز بخصائص لم تكن موجودة فيما قبلها من ثورات الربيع العربي، بل أكاد أقول: ولا في ثورات التاريخ البشري، لأنها الثورة الأولى

(*) كاتب سوري.

التي لن يسقط بنجاحها نظام واحد بل أنظمة، ولن تتغير فيها معالم دولة بل معالم دول، وقد يكون هذا هو السبب الأهم في تشرذم الموقف الدولي تجاهها، واشتداد الصراع العالمي حول اتخاذ قرار موحد بشأنها؛ والذي أريد أن ألقي الضوء عليه هنا هو تأثير الثورة السورية وما سيعقبه من تغيير في ملامح الجغرافية السياسية في المنطقة على إيران.

ملامح المشروع الإيراني

النظام الإيراني نظام يقوم على منظومة دينية، وهي مبادئ الشيعة الإمامية الإثني عشرية، ومن المعلوم أن النظم الدينية والأيديولوجية تتسم بالتشدد والتعصب لمبدئها وتوجهها، ويزداد التعصب كلما كان المذهب أو الدين متطرفاً، وقد يوافقني القول كل من درس المذهب الشيعي الإثني عشري بأنه من أكثر المذاهب تطرفا وتعصبا إن لم يكن أشدها، والذي أعنيه بالتطرف هنا هو الغلو في سياسة الإقصاء للمخالف والتدين باضطهاده وسحقه.

ولذا اتبعت إيران سياسة تصدير الثورة للدول السنية، وسياسة نشر التشيع ومحاربة أهل السنة في كل مكان دينا وأشخاصا، وهي لا تفتأ تتخذ كل حيلة وسبيلة لمد نفوذها الشيعي وتجيد التعامل مع خصوصيات كل بلد، ولربما سخرت من طاقاتها لهذه الغاية أضعاف ما سخرت لمحاربة اليهود، هذا إن سلمنا بأنها حاربت أو تحارب اليهود، لأن من قرأ أدبيات الشيعة ونظر بعين ثاقبة إلى الأحداث يدرك أن اليهود في المرتبة الثالثة في قائمة الأعداء لإيران، فالعدو الأول هم السنة ثأرا للحسين – الذي قتله شيعة الكوفة!- واسترجاعا للخلافة المنهوبة منهم، كما يزعمون بهتانا وزورا، وتحريرا لمكة والمدينة من أيدي أهل السنة، والعدو الثاني هم العرب ثأرا لأمجاد فارس التي أطاح بها العرب وهو ما تستشفه من كتبهم وتصريحاتهم، ثم العدو الثالث: اليهود استرجاعا للقدس ليكون في حوزتهم، وبما أن العدوين الأوليين موجودان فالثالث في خانة الأصدقاء، ولذا فهي تريد السيطرة على العالم السني العربي لتحقق مكاسبها قبل سيطرتها على فلسطين.

دور إيران في سوريا

منذ أن نجحت ثورة الخميني في إيران سارع النظام النصيري في سوريا لمباركتها مع أن النصيرية والإثني عشرية على خلاف عقيدي معلوم، لكن جمعَهم الكره للسنة والولادة من رحم التقديس لأهل البيت المزعوم.

كما سارع الخميني ومن قبل نجاح الثورة الإيرانية لاعتبار النصيرية من الشيعة، كما جاء في كتاب (وجاء دور المجوس) «أن سماحة العلامة السيد حسن مهدي الشيرازي قام على رأس وَفْدٍ من علماء الشيعة الإيرانيين بزيارة لمناطق النُّصَيرية في جبلهم، والساحل المنكوب الذي تسلَّطوا على بعض أحيائه، ومنطقة طرابلس الشام حيث هاجر إليها بعضهم من الجبل، وخلال هذه الزيارة التقى الشيرازي بعلماء النصيرية ووجهائهم وأهل الرأي فيهم، وتبادَل معهم الخُطَب والأحاديث وتوصَّلوا إلى النتائج التالية:

١- أن العلويين هم شيعةٌ ينتمون إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بالولاية، وبعضهم ينتمي إليه بالولاية والنسب كسائر الشيعة الذين يرتفع انتماؤهم العقدي إلى الإمام علي، وبعضهم يرتفع إليه انتماؤه النَّسبي أيضًا.

٢- أن العلويين والشيعة كلمتان مترادفتان مثل كلمتي الإمامية والجعفرية، فكل شيعي هو علوي العقيدة، وكل علوي

هو شيعي المذهب.

هذا هو خلاصة البيان الذي وقَّع عليه أكثرُ من سبعين شيخًا ووجيهًا ومثقفًا يمثِّلون مختلَف قبائلهم وتكتُّلاتهم، وصدر هذا البيان تحت عنوان: (العلويُّون شيعة أهل البيت)»[1].

وفي عام ١٩٧٤م استصدر موسى الصَّدر قانونًا في لبنان أصبح النصيريون الذين يقطنون في شمال لبنان بموجبه شيعة جعفريين، وأقام لهم مفتيًا خاصًّا بهم في سنة ١٩٧٨م[2].

وبدأ الحلف النصيري الشيعي في محاربة أهل السنة، ونشر التشيع في سوريا وبدأ النفوذ الإيراني في سوريا ينشط من خلال عدة قنوات:

١- الدعاية الإعلامية المروجة لإيران على أنها عدوة لإسرائيل ونصيرة للعرب وهو ما لقي قبولا في المجتمع السوري، ولا سيما وأنه مجتمع لا يعرف حقيقة الشيعة لأسباب كثيرة لعل أهمها تقصير المنابر العلمية الشرعية في تعريتهم وذلك لغلبة الصبغة الصوفية عليها، ومحاربة النظام لأي شكل من أشكال الحديث عن الشيعة تحت ستار نبذ الطائفية.

٢- وضع يد إيران على المعالم الدينية الشيعية في سوريا حيث استولت على السيدة زينب وأقامت مسجدا ضخما على الطريقة الإيرانية فيها كما اقتطعت الدولة لها جزءا من أراضي البلدة حول المقام، ورافق بناء المسجد إقامة حوزة علمية ومركز دعوي ينشر الكتب المعرفة بالمذهب، وفعلت مثل هذا في مقام السيدة رقية في دمشق القديمة واستولت على مساحة كبيرة من حي المشلب في الرقة لبناء مسجد ومركز دعوي في مدينة الرقة على شهداء صفين لكن توقف المشروع لعدد من السنوات لأسباب غير ذات بال ثم جدد في عام ٢٠٠٢ وأصبح قريبا من مقام السيدة زينب.

وكانت تقام فيها المحاضرات العلمية للتعريف بالتشيع وإقامة طقوس الشيعة من لطم وضرب ومسيرات في الشوارع، ولم يخلُ الأمر من ترويج لزواج المتعة، كما كانت تقام فيها نشاطات سياسية للتحريض على صدام وتأييد الخميني، ورأيت ذلك بعيني وسمعته بأذني في السيدة زينب بدمشق، مما أدى إلى انتشار التشيع في تلك المناطق.

لكن ظل تشيع السوريين قليل وبطيء الانتشار بينهم، إلى أن جاء دور بشار وانهيار جدار صدام حسين - الذي كان يشكل مانعا قويا من انتقال التشيع لسوريا- وصار العراق مستعمرة لإيران وأصبح التشيع يصول ويجول في سوريا، وأضافت إيران إلى الوسائل السابقة وسائل أخرى منها:

١- التركيز على العشائر من خلال استقطاب شيوخها والتأثير عليهم ليقبلوا التشيع وينشروه بين أبناء عشائرهم وسوقت لهم ذلك بتقديم المغريات المالية وتقوية نفوذهم في الدولة بسوريا، فقد حدثني أحد شيوخ العشائر الذين أرسلت لهم ايران لزيارتها برفقة وفد عشائري أنهم بعد سياحة في معالم إيران وتقلبٍ بالنعيم، عرضت عليهم إيران التشيع ونشره في عشائرهم وأنها ستقدم لهم كل ما يحتاجونه من مال وأن شؤونهم في الدولة السورية سترتفع ونفوذهم سيقوى، كما حاولت أن تقنع العشائر التي تنحدر من آل البيت بأن أصولها شيعية كعشائر البقارة والنعيم والبوسرايا، واقتنع البعض بذلك أو أقنعته الأموال.

٢- بث دعاة ومبشرين للتشيع، فقد اعتمدت مبشرين لها يسكن كل واحد منهم منطقة معينة ويقومون بالانخراط مع الناس في أفراحهم وأتراحهم وسهراتهم ويبثون الفكر الشيعي بالتدريج مصحوبا بدعم مالي لمن يتشيع، حتى دخل في التشيع عدد كبير ولا سيما في المحافظات الشرقية (الرقة والحسكة ودير الزور).

٣- مساعدة الحكومة السورية لها وذلك:

أ- بالسماح بإقامة كليات شرعية ومعاهد

(١) وجاء دور المجوس ص ٣٩٧- ٤٠٠.

(٢) المرجع السابق.

تدرس المذهب الشيعي كما حدث في السيدة زينب وإدلب واللاذقية والرقة.

ب- محاربة كل من يتكلم على الشيعة ولا سيما السلفيين تحت اسم مكافحة الإرهاب حتى امتلأت السجون بالسلفيين وما عاد أحد يجرؤ على أن ينتقد فكرة شيعية أو يدعو لفكرة سلفية.

كل هذا شكّل لإيران عصرا ذهبيا في سوريا وصل خيره ونعيمه لحزب الله في لبنان بلا شك فتحقق الهلال الشيعي الذي كانت تحلم به إيران وأصبحت الخطوة القادمة أن تمتد إلى الخليج في طريقها للسيطرة على مكة، فما الذي حدث؟

شبح الثورة السورية

وكان أن ثار الشعب السوري، ونادى بإسقاط النظام، وأي نظام؟ نظام خدم إيران أكثر من أبنائها ومر التشيع في ظله - ولا سيما بعد انهيار جدار صدام حسين- في أزهى صوره، ومن هو النظام القادم؟ بلا أدنى شك نظام سني، ستخسر فيه إيران كل ما اكتسبته في نظام الأسد، وسيعود الجدار لكن هذه المرة في سوريا وليس في العراق، وسينقطع الحبل السري بين إيران وحزب الله، وستعود إيران ربما إلى ما قبل الصفر في تحقيق مشروعها الكبير، هذا إن لم يقم النظام البديل بمحاربة التشيع ومنْح جوٍ من الحرية يعيش فيه الفكر السلفي الكفيل بأن يسنن الشيعة الأصليين فضلا عن إعادة المتشعين بالحجة والبرهان.

إذن فالثورة السورية في الحقيقة ثورة على إيران والخاسر الأكبر فيها هي إيران، من هنا أجلبت إيران بخيلها ورجلها، واستنفرت لواءها المتقدم في لبنان، وحركت حلفاءها الروس والصينيين تستحلفهم بما بينها وبينهم من مصالح أن ينقذوها من هذا المقتل الخطير، فاستكملت حلقات المؤامرة على الثورة السورية، وتشكل الخطر المخيف للدول الغربية من أن تفكر بليبنة سوريا.

وأعلن مراجعها الجهاد في سوريا فانهال من جنود حزب الله وجيش المهدي وأبناء الطائفة النصيرية ليدافعوا أو ليجاهدوا حتى تبقى إيران في سوريا. ولكن رغم كل هذه الجهود لم تستطع إخماد الثورة السورية، وبوادر هزيمتها تلوح في الأفق.

فرصة الخليج

وأمام هذه الأحداث لابد للسنة في العالم عامة وفي الخليج خاصة أن ينبروا للدفاع عن الثورة السورية ودعمها، فهي ليست ثورة سورية بل ثورة السنة قاطبة، فالسوريون يجاهدون بالوكالة عن كل أهل السنة، وقد لاحت لكم الفرصة يا أهل الخليج لتقلموا أظفار إيران وتفشلوا لها مشروعها الكبير.

فأين مواقفكم التي تليق بالحدث، وأخيرا أقول لكم: إن لم تنصروا السوريين لأنهم إخوتكم في الإسلام وإخوتكم في العروبة، فانصروهم لأنهم يدافعون عن وجودكم المهدد من إيران، ولئن فشلت الثورة السورية - لا قدر الله- فاعلموا أن المرحلة القادمة من المشروع الإيراني هي الخليج لأن العراق وسوريا ولبنان صارت بيدها، وجاء دور الخليج، فحصنوا بقاءكم بمساعدة الشعب السوري.

ولأن السوريين يدركون حجم الثورة التي يقومون بها فكان ذلك من أكبر العوامل التي منحتهم الإصرار والثبات، لأنها إن فشلت فسلام على السنة وتجهزوا للتشيع المسيس ولحياة تبدأ بالذل وتنتهي به، وما أقبح حياة الذل، لذلك قالوا: الموت ولا المذلة.

القراءة المنسية... إعادة قراءة نظرية: الأئمة الإثنا عشر علماء أبرار

أسامة شحادة(*)

هذا الكتاب لعله أول كتاب يُترجم للغة العربية للشيخ الدكتور محسن كديور، وهو من علماء الشيعة وفيلسوفٌ إيرانيٌّ معاصر، لكنه صاحب دعوة إصلاحية في داخل الفكر الشيعي، ويعد من طلاب المرجع الشيعي آية الله حسين علي منتظري، وقد درس في عدة جامعات إيرانية منها: جامعة الإمام الصادق (ع)، وجامعة الشهيد بهشتي، وجامعة «تربيت مدرس»، وعمل مشرفاً في مؤسسة أبحاث الحكمة والعِرْفان بطهران، ويعمل «كَديْوَر» حالياً أستاذاً جامعيّاً زائراً في قسم الدراسات الدينية في جامعة فرجينيا في الولايات المتحدة الأمريكية.



وقد تعرض للمحاكمة أمام المحكمة الخاصة بعلماء الدين والتي حكمت عليه بالسجن أكثر من مرة في الفترة بين ١٩٩٩ و ٢٠٠٠م، حيث أمضى ما مجموعه ثمانية عشر شهراً سجيناً للرأي خلف القضبان، بتهمة إدلائه بأحاديث صحفية معادية للنظام، وبتهمة نشره لعدد من المقالات في بعض الصحف الإصلاحية، اعتُبِرَت معادية لأسس نظام ولاية الفقيه.

المهم في طرح ودعوة كديور أنه يقوم بنشرها علنا بين الجمهور الشيعي في الحسينيات والملتقيات والصحف والمجلات، ولذلك تتعرض لكثير من الرد والدفاع من قبل علماء الشيعة المعاصرين، ومن هنا تتبع أهمية طرح كديور والذي لعله يفوق ما طرحه أحمد الكاتب بخصوص عقيدة المهدي عند الشيعة.

«القراءة المنسية» هو في الأصل بحث نشر في مجلة «مدرسة» الإيرانية، وقام بترجمته وأربعة مقالات مهمة أخرى لكديور، الدكتور سعد رستم، والكتاب صدر سنة ٢٠١١ عن دار الانتشار العربي، ويقع في ٢١٥ صفحة من الحجم الوسط، وهذا هو الإصدار الثاني للدكتور سعد رستم بخصوص ترجمة نتاج الإصلاحيين الإيرانيين بعد كتابه الأول «المذاهب الإسلامية طريق الوحدة الإسلامية» للعلامة مصطفى طبطبائي.

(*) كاتب أردني.

القضية المركزية في فكر كديور والتي سماها (القراءة المنسية) هي نظرية: الأئمة الإثنا عشر علماء أبرار، والتي تقوم على أن الأئمة الإثنى هم أناس صالحون مثل البشر وهم علماء أبرار فحسب، ولا يوجد تنصيب إلهي لهم، ولا يملكون علما **دنيويا** غيبيا، كما أنهم ليسوا معصومين.

وأن هذا هو أصل التشيع الذي كان زمن علي، وعليه أصحابه مثل سلمان الفارسي والمقداد وأبي ذر، واستمر هذا حتى القرن الخامس الهجري، فحصل تحول أساسي وجوهري في عقيدة «الإمامة» أخرج الإمامة عن كونها اجتهادا علويا في فهم الإسلام إلى أن أصبحت ذات طابع فوق بشري، وذلك من خلال تسرب عقائد غلاة الشيعة ومفوضة الشيعة (الذين زعموا أن الله عز وجل فوض الأئمة في شؤون الكون والتشريع والذين تمركزوا بالكوفة) إلى التشيع حتى أصبحت عقائدهم - بعد تخفيفها قليلاً - هي التشيع، بعد أن كانت كفراً وشركاً عند الأئمة!!

يقوم كديور بشرح هذه النظرية والدفاع عنها من خلال التساؤل عن خلو آيات القرآن عن الحديث عن الإمامة بهذا التصور؟ وعن صفات الأئمة؟ لماذا تخلوا روايات أوائل الشيعة من كل هذا؟!

ومن ثم يعرض ثلاثة شواهد لعلماء شيعة كبار تثبت النظرة البشرية العادية للإمامة لدى أوائل الشيعة، الشاهد الأول هو العلامة عبدالله المامقاني والذي يقول في مقدمة كتابه «تنقيح المقال في أحوال الرجال»: (وإن أكثر ما يعد اليوم من ضروريات المذهب في أوصاف الأئمة عليهم السلام كان القول به معدوداً في العهد السابق من الغلو).

الشاهد الثاني: العلامة الوحيد البهبهاني في كتابه «الفوائد الرجالية» حيث يقول: (الظاهر أن كثيرا من القدماء سيما القُميين منهم (والغضائري) كانوا يعتقدون للائمة عليهم السلام منزلة خاصة من الرفعة والجلالة ومرتبة معينة من العصمة والكمال بحسب اجتهادهم ورأيهم، وما كانوا يجوزون التعدي عنها وكانوا يعدون التعدي ارتفاعا وغلوا حسب معتقدهم، حتى أنهم جعلوا مثل نفي السهو عنهم غلوا، بل ربما جعلوا مطلق التفويض إليهم، أو التفويض الذي اختلف فيه كما سنذكر، أو المبالغة في معجزاتهم ونقل العجائب من خوارق العادات عنهم أو الإغراق في شانهم واجلالهم وتنزيههم عن كثير من النقائص وإظهار كثير قدرة لهم وذكر علمهم بمكنونات السماء والأرض ارتفاعا أو مورثا للتهمة به، سيما بجهة أن الغلاة كانوا مختفين في الشيعة مخلوطين بهم مدلسين).

والشاهد الثالث: العلامة الشهيد الثاني في كتابه «حقائق الإيمان» وفيه يقول: (.. على ما يظهر من حال رواتهم ومعاصريهم من شيعتهم في أحاديثهم عليهم السلام، فإن كثيراً منهم ما كانوا يعتقدون عصمتهم لخفائها عليهم، بل كانوا يعتقدون أنهم علماء أبرار).

وعليه فإن كديور يرى أن المعتقدات فوق البشرية السائدة بين الشيعة اليوم بخصوص الإمامة والأئمة هي عقائد باطلة مدسوسة على التشيع من قبل الغلاة والمفوضة الذين حاربهم الأئمة، ومن هذه العقائد الباطلة والمدسوسة:

أنهم مثل النبي ﷺ منصوبون من قبل الله عز وجل، وأن علم الأئمة مثل علم النبي ﷺ، وأنهم معصومون مثله ﷺ.

والمقال الأول المرفق ببحث «القراءة المنسية» هو «الدلائل المرشدة في إعادة قراءة التشيع»، وهو في الأصل محاضرة ألقيت في طهران سنة ٢٠٠٥م.

وتدور فكرة المقال على بيان حقيقة التشيع وحده، ويطرح كديور أربعة مرشدات لمعرفة التشيع هي:

١- القرآن، فما وافق القرآن من عقائد الشيعة السائدة لا يمكن أن يكون من حقيقة التشيع، ويضرب لذلك مثلا بالتوكل والشفاعة، فالتوكل على الله عز وجل في القرآن هو الأصل والغالب، لكن السائد اليوم عند الشيعة هو التركيز على الشفاعة (= التوسل) بالأئمة بدلا من التوكل على الله عز وجل!!

٢- العقل، والذي يعد أحد الأدلة في الفقه الشيعي إلا أن الخرافات ملأت التشيع.

٣- السنة، مع وجود خلافات حول ثبوت الروايات.

٤- ما ورد عن علي رضي الله عنه مثل نهج البلاغة.

وينطلق كديور لبحث كلمة شيعة في اللغة والقرآن ليجد أنها لفظة حيادية جاءت بمعنى التفرق (ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا)، وجاءت بمعنى الأتباع والأنصار (وإن من شيعته لإبراهيم).

ويواصل كديور البحث عمّا يميز الشيعة عن بقية المسلمين، فيرفض أن يكون الفارق هو النزاع على خلافة النبي ﷺ بين علي وبقية الخلفاء لأن تلك حادثة ذات بعد زمني محدد لا تصلح أن تكون سبب التميز والانفصال لليوم، ويطرح بدلا منها أن الفرق هو اعتقاد الشيعة بأشخاص غير النبي ﷺ يعلمون الغيب ويتمتعون بالعصمة ومنصوبون من قبل الله عز وجل وغاب آخرهم وسيعود.

وهنا يطرح كديور السؤال المهم والفارق: هل يمكن لإنسان أن يبقى شيعياً دون أن يؤمن بهذه المميزات الشيعية؟

جواب كديور هو أن هذه العقائد طارئة ودخيلة على التشيع، وأن التشيع الحقيقي هو التزام رؤية علي للإسلام بحسب ما يثبت لي، دون أن أُلزم بآراء علماء ورجال الشيعة.

المقال الثاني بعنوان: «إعادة قراءة مفهوم الإمامة في ضوء النهضة الحسينية»، وهي كانت محاضرة بحسينية الإرشاد سنة ٢٠٠٧، وهي الحسينية التي كان يُدرس بها علي شريعتي، صاحب كتاب «التشيع العلوي والتشيع الصفوي».

يرى كديور أن المهم في حادثة مقتل الحسين دراسة أهدافها ومسائلها لا المصائب والبكاء! فالحسين يصرح: «إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي»، ولذلك يجب في عاشوراء أن نواصل رسالة الحسين وهي الإصلاح والعدل.

لكن التغييرات التي دخلت على التشيع جعلت موسم عاشوراء للبكاء واللطم للتغطية على التزوير والتحريف لحقيقة الإمامة، فالفرق بين: كيف كان يرى الحسين نفسه إماما؟ وكيف نرى الحسين اليوم إماما؟ فرق هائل بين رؤية الحسين لنفسه بشراً، وبين رؤيتنا اليوم له بصفات فوق بشرية.

وأبرز ما نقده كديور هنا من صفات فوق بشرية على ما سبق في مقالاته الأولى، قضية تفويض الأئمة التصرف في الكون والتشريع، وأن هذا هو نتيجة للمزاعم السابقة بأن الأئمة يعلمون الغيب ومعصومون ومنصوبون من الله عز وجل، وبيّن كديور أن عقائد التصوف المنحرفة كنظرية «الإنسان الكامل» ساهمت في إيجاد هذه الانحرافات.

المقال الثالث كان بعنوان «تأملات في مصادر العقيدة الدينية» وهو أيضاً محاضرة في حسينية الإرشاد بطهران سنة ٢٠٠٧م.

جوهر المقال في فحص المستند الأساسي لعقيدة الإمامة عند الشيعة وهي الروايات المنسوبة لأئمة آل البيت، ومدى قيمتها العلمية ودرجة الثقة بها من الناحية الفنية (علم الدراية)، والأسئلة التي سيجيب عنها المقال: في أي المجالات الدينية يمكن الاعتماد على الروايات؟ ما مدى صحة هذه الروايات؟ هل يصح قبول أخبار الآحاد في

العقائد؟ هل مَن لم يؤمن بعقيدة مصدرها هذه الروايات يُتهم بأنه لم يفهم الدين أو المذهب؟

يقرر كديور أن الاعتماد على الروايات أصبح هو الأصل للتفكير الشيعي في الأصول والفروع، بدلا من القرآن الكريم، كما أن الاجتهاد الكلامي (العقائدي) عند الشيعة قد توقف من القرن السابع الهجري.

النظرية التي يطرحها كديور تجاه الروايات التي تقوم عليها العقائد الشيعية أنها: تعرضت لعمليات دس وتزوير منظمة من قبل جماعات الغلاة والمفوضة، سواء عبر الكذب في السند والمتن أو في المتن ونسبته لسند صحيح، وأن كثيرا منها روايات آحاد، ولذلك لا يصح الاحتجاج بها واعتبارها من الدين.

وفي بيان تفاصيل نظريته يتعرض كديور لبيان حقيقة الروايات الشيعية من خلال كتاب الكافي كنموذج، فالكليني دوّن في كتابه الكافي (الأصول والفروع والروضة) ١٦١٩٩ حديثاً، من أصل ٣٠٠ ألف حديث، أي ما نسبته ٥ ٪ فقط !! ومن ثم تعرض كتاب الكافي للفحص والنقد من علماء لاحقين، فالشهيد الثاني يرى أن ٥٩ ٪ من روايات الكافي لا يمكن اعتمادها!!

والعلامة المجلسي حين تعرض لأحاديث كتاب الحجة في الكافي لم يقبل من ١٠١٥ حديثا إلا ٢٨٦ حديثا بنسبة ٢٨ ٪.

أما مِن المعاصرين فمحمد باقر البهبودي مؤلف صحيح الكافي، لم يقبل من روايات أصول الكافي البالغة ٢٨٣٣ إلا ٥٩٣ حديثا بنسبة ٢١٪، ومن أحاديث كتاب الحجة بالكافي ١٠١٥ حديثا إلا ١٠١ بنسبة ١٠٪، ولذلك كيف يمكن الاعتماد في العقائد على مثل هذه الروايات غير الموثقة؟؟؟

ثم يتناول كديور ضرورة تطهير الروايات من دس الغلاة والمفوضة والتي هي على نوعين: وجود أحد الرواة الغلاة في سندها، أو التي ركبت على سند سليم، ولذلك لا يجدي في كشفها قواعد علم الرجال. ويختم مقاله بالقول إن هذه الروايات أخبار آحاد لا يؤخذ بها في العقيدة[1].

المقال الرابع والأخير كان بعنوان «دراسة نقدية للزيارة الجامعة الكبيرة»، وهو بالأصل محاضرة ألقيت سنة ١٤٢٧هـ في منزل المهندس توسلي بطهران.

والزيارة الجامعة هي دعاء يقال عند زيارة قبور أئمة آل البيت وتنسب للإمام الهادي، وتعتبر أهم الأدعية التي تختص بزيارة قبور الأئمة، ولذلك شرحها عدد من علماء الشيعة قديما وحديثا، وتخصيصها بالنقد هو لبيان الدس في روايات الشيعة على أئمة آل البيت وأن هذه الروايات تسعى لفرض رؤية فوق بشرية للأئمة.

درس كديور سند الزيارة وخلص إلى أنها لا تثبت لوجود راوٍ مجهول وراوٍ مختلف فيه ورواة لم ينص صراحة على توثيقهم في سندها، والذي يوصف بأنه أصح أسانيد الزيارات!!

أما متن الزيارة فيكشف عن أنها مكذوبة على الأئمة ففيها نسبة العصمة لهم، وكذلك فكرة الاصطفاء والتفويض والرجعة فكلها عقائد لاحقة بعد زمن الهادي!! كما أنها تخالف القرآن الكريم. ولما كان أحد رواتها من الغلاة المعروفين، وهو الذي اختلف علماء الرجال في توثيقه وتضعيفه، يتبين لنا أن هذه الزيارة من الروايات التي دسها الغلاة بين الشيعة وأصبحت هي التشيع السائد اليوم والذي يضفي على الأئمة صفات فوق بشرية، بخلاف أصل التشيع الذي عرفه علي رضي الله عنه.

في النهاية فإن ما طرحه كديور جدير بالدراسة والبحث والنشر بين الشيعة، مع حاجتنا إلى أن ندرس بقية أفكار كديور حتى نفهم موقعه في الفكر الشيعي ومدى قربه وبعده عن أهل السنة، فليس بالضرورة أن يكون قريباً منا، بسبب نقده للغلو في عقيدة الإمامة، فلا بد من معرفة فكره كله وبعد ذلك يُحكم عليه أو له.

---

(١) وهذا غير صحيح كما بيّن ذلك الإمام الشافعي في كتابه (الرسالة)، فالخبر إن ثبت سنداً ومتناً وجب الأخذ به، لكن روايات الشيعة لا يثبت أكثرها لا سنداً ولا متناً.

موقف نريد أن يثبتوا عليه!

قالوا: دعت صحيفة الحرية والعدالة (التابعة لحزب جماعة الإخوان المسلمين) إلى مواجهة ما وصفته بـ «المشروع الشيعي الإيراني في سوريا».

وقال أسامة نور الدين في مقال نشرته الصحيفة تحت عنوان «المشروع الشيعي وحرب الإبادة في سوريا» إن إيران تسعى بكل السبل للحفاظ على النظام السوري خدمة لمشروعها التوسعي بالمنطقة.

واستعرض الكاتب التدخل الإيراني في الشؤون العربية خاصة في البحرين والسعودية واحتلال إيران للجزر الإماراتية الثلاث في الخليج العربي.

صحيفة العرب القطرية ٢٠١٢/٧/٣

إلى متى نحترم هؤلاء الطفيليين؟

قالوا: الجسم العملاق الذي أراده أهل السنة مظلة يستظل تحتها كل وطني مخلص.. أين هو الآن؟ التجمع الكبير الذي كان حلم المواطنين الشرفاء لمواجهة المشروع الطائفي الصفوي.. أين يقف الآن؟

تمخض (التجمع) فولد (شلّة).. شلّة من القادة الفاشلين، من أصحاب الطموحات الشخصية، ومن أصحاب العقد النفسية.. شلة من الحاسدين، عملوا على إخراج ذوي الكفاءة والخبرة والإخلاص من قيادة التجمع، ليخلو لهم الجوّ، فيركبوا على ظهر هذا الشعب المسكين، وكأن هذا الشعب لم يكتفِ من معاناته المزدوجة: إرهاب الشيعة وتخاذل الدولة!!

كل ذلك بسببك يا (صاحب الفضيلة).. والله إن حسابك لعسير بين يدي المولى عزّ وجلّ!

مدونة عمر خليفة راشد

أدوات الحوار لدى شيعة البحرين!

قالوا: ضُبطت كميات كبيرة من مواد تستخدم في صنع متفجرات، مصممة لتسبب إصابات خطيرة وعددا

كبيرا من القتلى وتدميرا للممتلكات، إذ تم العثور على أكثر من خمسة أطنان من المواد التي تستخدم في صنع العبوات الناسفة.

اللواء طارق الحسن رئيس الأمن العام في البحرين

ميدل إيست أونلاين ٢٠١٢/٦/٢٨

نصيحة متأخرة جداً

قالوا: على المسئولين حقيقة، دراسة الوضع في القطيف هناك من جديد، والإفادة من دروس حربنا على الإرهاب، إذ يجب إعادة النظر في تعيين خطباء الجوامع بالقطيف وفصل الذين يؤججون الفتنة بمثل ما فعلنا في جوامعنا (السنة)، وكذلك موضوع (الخُمس) يجب أن يبلور نظام بعدم دفعه للخارج، وصرفه للمحتاجين والفقراء في القطيف، وبمثل ما فعلنا أيضاً مع الجمعيات الخيرية عندنا بعدم إرسال التبرعات للخارج، هذان موضوعان يجب أن

يدرسا مع عقلاء المجتمع القطيفي ومشايخه، وإلا فسترتد علينا هذه الأموال خناجر في خواصرنا.

عبدالعزيز القاسم – المصريون ٢٠١٢/٧/١٨

حلف صوفي نصراني ضد الإسلاميين!

قالوا: كشف الشيخ علاء أبو العزايم شيخ الطرق العزمية الصوفية وجود تحالف صوفي مسيحي، وأضاف: كانت البداية عندما اتصلتُ بالأنبا بسنتي أسقف حلوان والمعصرة من أجل التنسيق بين الطرق الصوفية والكنائس المصرية لمواجهة خطر المتشددين الإسلاميين، وكان ذلك العام الماضي ورحب البابا شنودة بهذا التحالف كثيرا.

وأكد أبو العزايم أن هذا التحالف تم بموافقة رؤساء هذه الكنائس الذين رحبوا كثيرا بهذا التحالف والْتقيت بالقائم مقام البطريركي للكنيسة الأرثوذكسية الأنبا باخوميوس في الكاتدرائية المرقسية بالعباسية ودار بيننا حديث طويل عن الرهبانية والتصوف والتشابه الموجود بينهما مع الاختلاف في العقائد.

المصريون ٢٠١٢/٧/١٧

عرفنا السبب؟

قالوا: ضمن المراجعات التي تبثها قناة الحوار اللندنية تحت عنوان (مع البوطي) ... عرض البوطي لحديث الفرقة الناجية، وأخذ يلوي عنق النص ليحيل المقصود بـ (ستفترق أمتي) من أمة الإجابة (المسلمين) إلى أمة الدعوة (البشر). وكان يهدف منه إدخال الطائفة العلوية الحاكمة في سوريا ضمن الفرقة الناجية وهو تفسير لم يقل به أحد من علماء المسلمين.

موقع المثقف الجديد ١٤٣٣/٧/١٦

فتاوى تحت الطلب!!

قالوا: صدر في بريطانيا الكتاب الأول للسير الجنرال البريطاني ريتشارد دانات يتحدث في بعض فصوله عن مرجعية السيستاني حيث يقول: ذكر لي المسؤولون في بريطانيا أن هناك مرجعا اسمه السيستاني سيصدر فتوى تعطل العمليات القتالية ضد قواتنا والقوات الأمريكية، وأن المسؤولين في بريطانيا عقدوا مع السيستاني صفقات مختلفة حول مصلحة الطرفين وذلك حينما كان السيستاني ضيفا على لندن عام ٢٠٠٤، فقد تواصل معي ممثلون من مكتب السيستاني وكانوا ينقلون لي تحايا السيستاني.

موقع سرايا – ٢٠١٢/٦/٢٧

حتى الدجاج!!

قالوا: تقرير طريف نشرته صحيفه التلجراف البريطانية تحت عنوان «الدجاج يتعرض للرقابه في إيران»، ومضمونه أن مسئولا أمنيا كبيرا حذر من أنه يجب على التليفزيون الرسمي ألا يُظهر في الأفلام لقطات عشاء فيها دجاج على المائدة حتى لا يثير ذلك الحقد الطبقي من قِبل الفقراء الذين لا يستطيعون الوصول إلى الدواجن فيذهبون لمهاجمه الأثرياء.

علي إبراهيم – الشرق الأوسط ٢٠١٢/٧/١٧

البهائية تطلّ برأسها

قالوا: مجموعة من البهائيين الأردنيين قامت مؤخراً بالمطالبة بوضع الديانة البهائية بدل الديانة الإسلامية على هوياتهم، بحيث يكون مكتوباً بخانة الديانة أنهم بهائيون وليس مسلمون. وهو أمر مرفوض تماماً، لأن ديانتهم غير معترف بها قانونياً وشرعياً، كونها ديانة غير سماوية. لكن إدارة الأحوال المدنية قد تلجأ لوضع «نجوم» في خانة الديانة، من قبيل الحيادية وللتسهيل عليهم.

مدير الجوازات والأحوال المدنية مروان قطيشات – موقع سرايا ٢٠١٢/٦/٢٦



إصرار انتحاري على «تحالف الأقليات»

إياد أبو شقرا - الشرق الأوسط ٢٠١٢/٧/٢

يوم أول من أمس نقلت وكالات الأنباء من مدينة الديوانية في جنوب العراق «تحذيرا» من وزير النقل العراقي هادي العامري إلى تركيا من «أي تجاوزات ضد سوريا وشعبها». وحسب الوكالات، فإن الوزير العامري، الذي كان يخطب في ذكرى ثورة عام ١٩٢٠ العراقية، قال إن «سبب ما تتعرض له العملية السياسية في العراق من أزمات معروف وكارثي، وهو من أجل تمرير المؤامرة في سوريا». ومن ثم تابع - لا فُضّ فوه - «أتعجب من الدول العربية.. هل ماتت الغيرة فيهم؟ اليوم تركيا تهدد وتتوعد بلدا عربيا هو سوريا، والجميع لم يتحرك وسكت عن الموقف، ولو أن إيران هددت؛ هل يسكت هؤلاء؟ نحن نقول للأتراك: لن نسكت عن تجاوزكم على سوريا، ولن نسمح لأي بلد أن يتجاوز على بلد عربي».

شخصيا، لا بد لي من الاعتراف بأنني لست ملمّا بالتاريخ النضالي القومي للوزير العامري، باستثناء أنه الأمين العام لـ«منظمة بدر»، الجناح العسكري للمجلس الأعلى الإسلامي العراقي الشيعي، كما أنه عضو في مجلس النواب العراقي ويعد من المقربين من القيادة الإيرانية. ومن ناحية ثانية، لا أزعم أنني على اطلاع على التاريخ الصحي والنفسي للسيد الوزير، لكنني أميل إلى أنه ينسى ويسهو، وهذا ما لم يكن انتقائيا في تعريف النضال والقومية، مع أن الانتقائية لا تليق بـ«مشرع» في الأرض التي ظهرت فيها «شرعة حمورابي» أول «شرعة» في تاريخ الحضارة الإنسانية.

السيد الوزير «نسي»، مثلا، أن العراق تعرض عام ٢٠٠٣ لهجوم عسكري «أجنبي» انتهى باحتلال «أجنبي» لم ينتهِ كليا حتى اللحظة. وما لم تخني الذاكرة، أحجم النظامان الإيراني والسوري يومذاك عن التصدي للقوات «الأجنبية» لمنعها من احتلال العراق.. بل إن ما حصل كان العكس تماما؛ إذ استفادت التنظيمات التي ينتمي إليها السيد الوزير وأركان حكومته، وانتقل قادتها من إيران حيث كان «الولي الفقيه» يصف الولايات المتحدة بـ«الشيطان الأكبر»، وحلوا معززين مكرمين في العراق المحتل «أجنبيا».. اللهم إلا إذا كان يعتبر القوات الأميركية من نسل كهلان بن قحطان!

هذا الكلام المؤسف ليس جديدا ولا مفاجئا، فالمنطق المريض الذي يعبر عنه أعم من أن يقتصر على سياسي عراقي محسوب على طهران.. إنه المنطق المريض نفسه الذي نسمعه ونعيشه يوميا من أعلى مواقع السلطة العراقية، بجانب قوى لبنانية وسورية وخليجية وغيرها، في تجاهل معيب لمجازر ترتكب في سوريا منذ ١٦ شهرا بحق شعب انتفض على نظام «وراثي» يحكمه أمنيا منذ خريف عام ١٩٧٠.

إننا هنا، نعود مجددا إلى آفة «تحالف الأقليات» ضد ما يوصف بخطر «الأصولية الإسلامية السنية»، ولقد ازداد زخم الدعوات لهذا «التحالف» بالتوازي مع تصاعد الخطاب الديني في عالم عربي يشكل المسلمون السنة نسبة تقارب ٧٥٪ من عدد سكانه، وفي ظل ترهل القيادات التقليدية - العسكريتارية على وجه الخصوص - وسقوط البديلين؛ القومي واليساري،

ضحية للمحسوبية والعائلية والفئوية، ناهيك من تعجيل نهاية «الحرب الباردة» بهذا السقوط.

إن العالم العربي الآن، بعدما نجح «الإسلاميون» السنة في تولي السلطة التنفيذية في المغرب وتونس ومصر عبر صناديق الاقتراع لأول مرة منذ فجر «الربيع العربي»، أمام معادلة مهمة جدا على صعيد تعايش مكوناته، وطبيعة تفاعلها بعضها مع بعض، ومع القوى الإقليمية ذات المصالح المتعارضة أحيانا والمتطابقة أحيانا أخرى على امتداد المنطقة.

الاستقطاب الحاد الذي شهدناه في مصر إبان الانتخابات الرئاسية في أعقاب انتصار الإسلاميين بـ«إخوانييهم» و«سلفييهم» في الانتخابات البرلمانية، لا شك، جزء من مشهد إشكالية التعايش. بل إن الإشكالية تصبح أكثر تعقيدا عند تفكير الراصد في حقيقة وجود خلافات عقيدية حتى بين التيارين الإسلاميين الكبيرين إزاء قضايا مصيرية كالدولة المدنية، وفصل السلطات، والالتزام بالمواثيق الدولية، وعلاقة سلطة على رأسها إسلاميون مع مواطنين كاملي الحقوق والواجبات من غير المسلمين. ومن ثم، قد يطرح البعض تساؤلا في محله عن دور «العسكر» بوصفهم «شريك سلطة» ضامنا لحقوق الأقليات والالتزامات الدولية.

في دول المغرب العربي، حيث الإسلام مظلة جامعة تظلل تعددية عرقية - لغوية، لا يصح استخدام مصطلح «تحالف الأقليات» ببعديه الديني والمذهبي، كما يستخدَم في بلاد الشام والعراق. وبالتالي، فإن تجربة الأقباط مع أول رئيس جمهورية إسلامي في مصر لا تنطبق على حالة الدول المغاربية، لكنها ذات وقع غاية في الأهمية بالنسبة لسوريا ولبنان حيث تحكم «الأقليات» مباشرة، والعراق حيث تحكم «الشيعية السياسية» التي تعكس مصالح جماعات داخل أغلبية محليا.. أقلية إقليميا.

كلام الوزير العراقي هادي العامري، الذي بدأت به هذه المقالة، يجسد في الواقع توجها سلبيا في العلاقة مع الأغلبية السنية بالمنطقة، وهو يبدو مستعدا للذهاب بعيدا في استنفار حلفاء؛ إقليميا، مكشوفين ومستترين لخدمة مشروع «تحالف الأقليات». والخطير في أمر هذه الحالة أن الحلفاء الإقليميين، المكشوفين والمستترين، في هذه الفترة الصعبة من عمر المنطقة لا يبدون منزعجين من إبقاء النزف السوري مستمرا، بل إنهم على استعداد لفتح جبهات ساخنة أخرى، بالذات في لبنان، حيث تعيش وتتداخل المكونات الدينية والمذهبية والعرقية - اللغوية ذاتها التي تعيش وتتداخل في سوريا.

ثم إن «العجز» الدولي عن وقف النزف السوري ما عاد بالإمكان ستره عبر الاكتفاء بالكلام عن «العناد» الروسي والصيني. صحيح أن الموقفين؛ الروسي والصيني، معاديان صراحة لشعب يقتله حاكموه منذ ١٦ شهرا، غير أن هذا مجرد جزء من مشكلة أكبر وأكثر تعقيدا؛ إذ كان مقلقا الصمت المريب إزاء الوضع في سوريا الذي طغى على زيارة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين لإسرائيل، حيث بالكاد خرجت معلومات يعتد بها عن طبيعة الحوارات التي دارت بين الجانبين. كذلك كان غريبا أن ينقضي «اجتماع جنيف» أمس بمهل أخرى من دون سقف زمني لإنقاذ ما يستحق إنقاذه من مبادرة دولية - عربية واضحة وصريحة بالنص اسمها «مبادرة أنان»، لا سيما في ضوء ما يحدث على الحدود السورية - التركية.

في العراق، كما في سوريا ولبنان، على «الأقليات»؛ مسلمة وغير مسلمة، أن تقدر بصراحة وبحكمة تكلفة خيار المواجهة بالسلاح مع «السنية السياسية»، وعليها أن تتذكر، أيضا، أن «المعركة» التي عليها أن تكسبها في نهاية المطاف هي «معركة التعايش» لا «المواجهة» والغلَبة المستحيلة. بكلام آخر، على «الأقليات» كسب ثقة السنة واعتدالهم وانفتاحهم.. لا كسب حرب ضدهم يقول منطق الأمور إنها غير قابلة للكسب أساسا.

لقد علمنا تاريخ الإسلام أن الدولة الإسلامية في أيام ازدهارها ومنعتها كانت منفتحة ومتسامحة.. وفي المقابل، إبان فترة انحطاطها لجأت إلى التزمت والانكفاء والشعور بالحصار والاضطهاد.. وهي العوامل التي فتحت

الباب أمام التشكيك وصولا إلى التكفير.
أمام «الأقليات» خياران لا ثالث لهما.

أي مصداقية لحزب الله؟

علي حسين باكير - جريدة الشرق القطرية ٢٠١٢/٧/١٢

تتزايد أعداد عناصر حزب الله الذين يتم تشييعهم في لبنان مؤخراً علماً أنّ الجبهة هادئة مع العدو الإسرائيلي منذ حوالي ست سنوات، بل إن هذا العدو مرتاح الآن لحدوده مع حزب الله أكثر مما هو عليه الأمر مع دول وقّعت اتفاقية سلام كمصر والأردن!

وعلى الرغم من أنّ موقع المنار وكذلك صحيفة الانتقاد التابعة للحزب تنقل مع الصور أخبار تشييع عدد من عناصر الحزب مؤخراً مع الإشارة إلى سقوطهم أثناء تأديتهم «الواجب الجهادي»، إلا أنّ صحفاً عديدة نقلت أنّ هؤلاء إنما يسقطون على الجبهة السورية وآخرها صحيفة النهار ثم تبعتها صحيفة المستقبل اللبنانية.

لطالما أنكر الأمين العام لحزب الله حسن نصرالله وجود مقاتلين للحزب في سوريا خلال المرحلة التي اندلعت فيها الثورة السورية، وكذلك ذهب نائبه الذي ادعى أن «النظام السوري لا يحتاج عناصر أو قوات فلديه ما يكفيه». ولا أعرف إذا افترضنا أنّ الموضوع يتعلق بالعدد، لماذا قاتل حزب الله مع الجيش الإيراني ضد العراق في الحرب الإيرانية – العراقية، والكلام بالمناسبة للسفير الإيراني السابق في سوريا وأحد المساهمين في تأسيس الحزب علي أكبر محتشمي. فهل كان ينقص إيران العناصر أو المقاتلين حتى يستعين ببضعة مئات أو آلاف من جنود حزب الله؟

بطبيعة الحال، لا. فالأمر لا يتعلق بالعدد وإنما بالولاء والهدف المشترك، والشيء المحير في الأمر أنّ حزب الله نفى بالمطلق وجود عناصر منه في سوريا، وليته قصر النفي على مشاركة عناصره في عمليات أمنية ضد الشعب السوري بدلا من النفي بالمطلق.

فمن المعلوم أنّ عناصر حزب الله تذهب بشكل دوري إلى سوريا ضمن معسكرات تدريب خاصة ضمن مهام متعددة وبأغطية مختلفة. وغني عن الذكر أنّ أرفع عنصر في حزب الله «عماد مغنية» قتل في سوريا وليس في بيروت، والمراجع لتصريحات ووعود نصرالله خلال السنوات الأخيرة يدرك أن لا مصداقية له ولحزبه بتاتا.

فقد وعد في عام ٢٠٠٦ بصيف هادئ وإذ به يتحول جحيما على اللبنانيين، ووعد بعدم استخدام السلاح في الداخل وحلف أغلظ الأيمان لكنه نكث عهده واستخدمه في غزو بيروت عام ٢٠٠٨ ثم عاد وهدد باستخدامه ستين مرة إن اقتضى الأمر.

وكان قد قال بأنّ حزبه هو حزب لبناني لا يعمل خارج إطار لبنان، وإذ بعناصره وخلاياه منتشرة في مصر والعراق ودول الخليج العربي ناهيك عن آسيا الوسطى وأمريكا اللاتينية وأماكن أخرى.

وقد اتهم إسرائيل باغتيال الحريري، وهو اليوم المتهم الأول ليس من قبل المحكمة الدولية وإنما من قبل معظم اللبنانيين، ولا نريد أن نعرج مطولا على موضوع السلاح الذي يقال إنه للدفاع عن اللبنانيين ولبنان في الوقت الذي يقتل فيه جيش الأسد عدداً من اللبنانيين في الشمال ناهيك عن انتهاك سيادة وحرمة الأراضي اللبنانية على الدوام.

لماذا استضافة (حزب اللّه) يا حركة النهضة التونسية؟؟؟

عبد الرؤوف الرملي - موقع الحقيقة ٢٠١٢/٧/١٤

لقد تلقت الثورة السورية التي تصارع المشروع الشيعي في المنطقة طعنات عديدة من العدو والصديق والبعيد والقريب، وهاهي الآن تتلقى طعنة جديدة مؤلمة من قبل فصيل يدعي بأنه ينتمي الى الإسلام، ألا وهو حركة النهضة التونسية، وذلك بمشاركة وفد من حزب الله اللبناني الشيعي في المؤتمر التاسع للحركة والذي عقد يوم الخميس الماضي ويمتد لثلاثة أيام.

إن هذا تطور خطير وطعنة في الظهر للشعب السوري البطل وهو يدافع عن الأمة الإسلامية ويبذل الغالي والنفيس من دماء أبنائه وأعراض نسائه في مواجهة الطغمة النصيرية الحاقدة التي استخدمت أخس الوسائل

وأبشعها للتنكيل بهذا الشعب السني المجاهد.

العجيب من هذا التصرف الغير مسؤول، أن حزب الله ومنذ إندلاع أول شرارة للثورة السورية وفي بداية تساقط أبناء سوريا الواحد تلو الآخر برصاص الغدر النصيري ساند النظام السوري وتبنى وجهة نظره في الصراع الدائر وأصبح بوقا له، ودعمه بكل ما أوتي من قوة إعلاميا وسياسيا وفي ارسال المقاتلين ليدافعوا عن نظامه، وكل ذلك موثق وبشهادات أهل سوريا أنفسهم حتى صار من المسلمات، بل قد إعتقل الجيش السوري الحر عددا من مقاتلي حزب الله وهذه اعرافاتهم منتشرة على صفحات اليوتيوب، وقد شيع حزب الله في لبنان بعض من مقاتليه الذين تم تصفيتهم على أيدي الجيش الحر، بل وصل الأمر بحزب الله في أن يطارد اللاجئين السوريين في لبنان ويضيق عليهم ويختطفهم، وما وقف الحكومة اللبنانية لعلاج الجرحى السوريين في مستشفياتها الا حلقة من هذا المسلسل.

فكيف بحركة النهضة التي تدعي بأنها إسلامية دعوة مثل هذا الحزب الشيعي الطائفي والذي يديه ملطختان بدم الشعبين الفلسطيني والسوري، هذا الحزب الذي لا يخجل ويصرح بأعلى صوته أنه ينتمي الى ولاية الفقية الايرانية التي تنتقص من الصحابة وأمهات المؤمنين وتلعنهم وهذا معلن وموثق.

إن كانت حركة النهضة التي تدعي أنها اسلامية !!!!!! لا تغار على أعراض الصحابة وهذا المشهد تعودنا عليه في تجربتنا مع عدد من التيارات التي تنتمي لحركات إسلامية، ويتجلى ذلك في مدحها لخميني وإيران وخلع صفات المقاومة والجهاد على تلك الحركة الباطنية التي تمتد من طهران وحتى بيروت، فلتغار حركة النهضة على الدماء المسلمة البريئة التي تسكب كل يوم على أرض سوريا المباركة.

لقد انتقد الغنوشي في وقت سابق الدعم الإيراني لسوريا في مواجهة شعبها فقال وحسب الجزيرة نت: «أعرب رئيس حزب حركة النهضة الإسلامي التونسي راشد الغنوشي عن قلقه من أن يقود التضامن الإيراني السوري إلى توتّر مذهبي في المنطقة، وانتقد بشدة دعم طهران للنظام السوري الذي اختار المقاربة الأمنية لاحتواء المظاهرات التي اندلعت منذ نحو عام مطالبة بإسقاطه»هـ.

فلماذا إذا لا ينتقد حزب الله والذي يتخذ نفس الموقف الأيراني ويطابقه، بل فوق ذلك يُقرب ويدعى الى مؤتمر حركة النهضة !!!!!!!! وعلاوة على ذلك يوصف بأنه حزب مقاوم !!!، ولا ندري على أي شيء إعتمدت النهضة في هذه التسمية فهو لم يطلق على اليهود طلقة منذ ٦ سنوات، بل أن جل مقاومته موجهة ضد أهل السنة في لبنان وسوريا والعراق حيث درب ميلشيات جيش المهدي واليمن حيث تسربت أنباء عن قتاله بجانب الحوثيين فوق ذلك مساندته المعارضة الشيعية في البحرين وغيرها من دول الخليج.

إن دعوة حزب الله لهذا المؤتمر هو وسام شرف لا يستحقه علقته حركة النهضة على صدره، كذلك تصب تلك الدعوة في إعادة السمعة الى حزب الله ومشاركة في تنظيف ساحته بعد أن خسر كثيرا جراء مساندته للنظام السوري.

لقد علمتنا التجارب أن الحركات التي على شاكلة حركة النهضة لا تقيم وزنا للعقيدة ولا للولاء والبراء ونخشى أن تجد الحركة الباطنية الشيعية من تسنم تلك الحركة مقاليد الحكم في تونس منفذا لنشر فكرها الرافضي وجسرا يعبروا من خلاله، وتجد الجحافل الرافضية موطئاً لها جراء تساهل تلك الحركة وتميعها للدين وضبابية الرؤيا لديها.

يقول محمد بن صقر السلمي الخبير في الشؤون الإيرانية بهذا الصدد : إن استضافة حركة النهضة التونسية ممثلا لحزب الله ووصف هذا الحزب بالمقاوم إشارة خطيرة جداً.

وأضاف في تصريح خاص لـ المجلة» «الواقع يقول هناك إشارات لتوغل إيراني – شيعي ممنهج في تونس ما بعد الثورة، فقبل أسابيع نظمت رابطة الحوار الديني في قم الإيرانية أول مؤتمر حوار بين شباب إيران وشباب تونس وضم الوفد التونسي، حسب التقارير الواردة، بعض الطلبة التونسيين في إيران ومجموعة قدمت من تونس خصيصا لهذا اللقاء. المؤتمر أهتم – حسب ما

تناقلته وسائل الإعلام الإيرانية – موضوع مستقبل العلاقات الثقافية بين إيران وتونس وكذلك العلاقة الثنائية بين الثورة التونسية والثورة الإيرانية مما يعني أن المؤتمر يسعى إلى تأسيس أرضية لتعاون مستقبلي».

ويضيف السلمي «من المؤشرات الأخرى لوجود توغل إيراني في تونس ما أعلن عنه أخيرا من إنشاء جمعية أطلق عليها اسم «صوت المستضعفين» وهذا الاسم يعطي انطباعا بأنها على علاقة بإيران حيث أن من أهم أهداف إيران بل أن الوثيقة الدستورية لإيران ما بعد الثورة الإسلامية تنص على ما يعرف هناك بـ «نصرة المستضعفين».

وقال: «إضافة إلى ذلك، هناك نشاط كبير لرجل دين شيعي يدعى سمير الباهي وهو خريج جامعة الخميني في سوريا ويتنقل كثيرا بين إيران وسوريا ولبنان. غير أن الأدهى من ذلك كله هو حفل ضخم أقيم أخيرا في مدينة قابس وكان بمناسبة استقبال النائب اللبناني السابق والمقرب من حزب الله وحركة أمل، ناصر موسى قنديل وقد رفع في تلك الاحتفالية علم حزب الله وعلم سوريا». ويختم الخبير في الشؤون الإيرانية «عندما نجمع مثل هذه الأحداث الصغيرة مع بعضها البعض يظهر لنا جليا أن هناك نشاطا ملحوظا لحزب الله وإيران في مهد الربيع العربي. لكن أن يتحول هذا النشاط من شعبي إلى رسمي من خلال استضافة ممثل لحزب الله في هذه المناسبة فإن ذلك يعد تأييدا، بشكل أو بآخر، لما يقوم به حزب الله من دعم للنظام السوري الذي يحاول وأد إحدى ثورات الربيع العربي وإن الشعب السوري ينتظر من النظام الجديد في الدولة التي انطلقت منها شرارة الربيع العربي الدعم السياسي الكامل لا استضافة من يشارك في قتله والتنكيل به»[1].

لقد انطلقت الحركة الباطنية المسماة «بالفاطمية» من مدينة (المهدية) في تونس ثم تمت السيطرة على الشمال الإفريقي بعدها فنقول لحركة النهضة لا يؤتى المسلمون من قبلكم ويعيد التاريخ كرته، وأن تعطوا الباطنيين الجدد فرص على صفائح الذهب وتلقوا اليهم بأطواق النجاة بعد أن إنفضحوا وبانت نواياهم الشريرة لكل مسلم وتراجع مشروعهم ومني بخسائر جسيمة. فإن دعوة حزب الله عمل منافي للدين وموقف غير أخلاقي تجاه إخوانكم في سوريا كما إنه انتحار سياسي.فلا تسبحوا عكس التيار فإن في ذلك نهايتكم ولتكن في سيرة غيركم ممن جامل الرافضة عبرة لكم.

ولتكن دماء إخوانكم أغلى من كل المجاملات والمنافع السياسية وأخيرا أذكركم بقول المصطفى ﷺ: عن جابر وأبي طلحة مرفوعا : «ما من امرئ يخذل امرأ مسلما في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موضع يحب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر مسلما في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته»[2].

السفير الذي ورط الأسد وبغداد!

طارق الحميد - الشرق الأوسط ٢٠١٢/٧/١٧

انشقاق السفير السوري لدى العراق لم يشكل صفعة لطاغية دمشق فحسب، بل إنه جاء بمثابة الضربة أيضا لحكومة السيد نوري المالكي، وخصوصا أن آخر التصريحات التي يتذكرها المتابع للمالكي حول سوريا، كان تصريحه، أي المالكي، الشهير: «لماذا يرحل الأسد؟! ولن يرحل»! فبعد انشقاق السفير السوري نواف الفارس عن النظام الأسدي، أعلن في مقابلة صحافية له مع صحيفة «صنداي تلغراف» البريطانية، أن نظام الأسد كان يقوم بإرسال الإرهابيين لقتال الأميركيين في العراق، والقيام بأعمال إرهابية هناك. والمذهل أن الفارس يقول إنه كان يشرف على ذلك حين كان محافظا لدير الزور، وبتعليمات شفوية صادرة عن النظام الأسدي نفسه المتحالف مع تنظيم القاعدة، بحسب الفارس! وبالطبع على الفور شعرت الحكومة

(١) موقع وطن.

(٢) رواه أحمد وأبوداود.

العراقية بالربكة، والاضطراب، وخصوصا أن المالكي كان يدافع عن الأسد، حيث صرح علي الموسوي مستشار رئيس الوزراء العراقي قائلا: «سنلاحق السفير المنشق نواف الفارس بكل الوسائل المحتملة، لأن التستر على تسهيل عملية دخول الإرهابيين جريمة»!

وهذا أمر عجيب، ويستدعي التساؤل، فهل كانت الحكومة العراقية تنتظر اعتراف السفير المنشق حتى تعرف أن الأسد هو من كان يقف خلف دخول الإرهابيين للعراق؟! وهل من المنطق أنه عندما تريد الحكومة العراقية الاقتصاص ممن أهدر دماء مواطنيها أن تكتفي فقط بملاحقة السفير المنشق أصلا، بدلا من اتخاذ موقف حازم من الطاغية الأسد الذي يعربد اليوم بالسوريين؟! أمر مذهل، وخصوصا أنه منذ تصريحات السيد هوشيار زيباري ضد الأسد الأسبوع الماضي، تحاول الحكومة العراقية التخفيف من تلك التصريحات، وإظهار الحياد تجاه الأسد، والاكتفاء بالتصريحات المضحكة عن ضرورة الحل السلمي، مع أن الأسد لا ينهج إلا الخيار العسكري!

ولذا، نجد أن تصريحات السفير المنشق نواف الفارس تعتبر ورطة، ليس للأسد وحده، بل ولحكومة بغداد التي أعمتها الطائفية، والنفوذ الإيراني، عن الوقوف وقفة حق مع السوريين، وضد الطاغية الأسد، الذي ساهم بشكل كبير في عدم استقرار العراق، طوال ثماني سنوات تقريبا. وحتى عندما أعلن الفارس أنه كان من ضمن الشهود على تهريب الإرهابيين إلى العراق عبر الحدود السورية، وبتعليمات من نظام الأسد، نجد أن الحكومة العراقية تعلن عن نيتها مطاردة السفير المنشق، وليس التصدي لجرائم الأسد، وإراحة السوريين والمنطقة من جرائمه! والحقيقة أن انشقاق الفارس، أيا كانت مواقفه السابقة، يعد أمرا مهما، وبمثابة الهزة للنظام الأسدي، لأنه بات من الواضح أن انشقاق الفارس فتح باب الانشقاقات في السلك الدبلوماسي بنظام الطاغية، وهو ما يفيد الثورة السورية، ويعري النظام الأسدي. فانشقاق سفير سوري واحد فقط أكد جرائم الأسد في العراق، وأحرج حكومة المالكي الطائفية، فكيف سيكون الوضع لو انشق السفير السوري لدى لبنان، مثلا؟! فحينها كم سنعرف من معلومات عن جرائم الأسد في ذلك البلد؟! بل وماذا لو سقط الأسد نفسه؟! فبالتأكيد سيعني ذلك أن منطقتنا، وقبلها السوريون، سيتخلصون من أسوأ نظام دموي إجرامي مر على منطقتنا طوال الأربعين عاما الماضية!

حول أضرحة مالي والمسجد الأقصى ومساجد سوريا والعراق

أسامة شحادة - الغد ٢٠١٢/٧/١٣

لا تتوقف نشرات الأخبار والصحف عن التنديد بعمليات هدم الأضرحة في مالي من قِبل جماعات متطرفة، على اعتبار أن هذه الأضرحة تعد من التراث العمراني العالمي، وهو السبب الذي تبرر به تلك الجماعات المتطرفة هدمها للأضرحة رداً على قرار اليونسكو بإدراج تمبكتو على قائمة التراث العالمي المهدد بالخطر.

ومع عدم قبولي بمنهج هذه الجماعات المتطرفة، إلا أن الاهتمام العلماني العالمي المبالغ فيه بهذه الأضرحة (الدينية) التي تشيع فيها أجواء الخرافة والشعوذة، أمر يتناقض جذرياً مع الحداثة والتقدم اللذين تبشر بهما المنظومة العلمانية؟؟

كما أن الاهتمام بهذه الضرحة دون بقية المساجد الإسلامية التي تنتهك حرماتها جهاراً نهاراً، أمر يثير الكثير من علامات الاستفهام!!

بدايةً فإن الإسلام لا يقر بوجود الأضرحة بل يحرمها ويحاربها، قال ﷺ: «إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك» (رواه مسلم).

فها هي مقبرة البقيع والتي دفن فيها جل أصحاب رسول الله ﷺ وأمهات المؤمنين لم يعرف عنهم أنه بنوا ضريحاً لميت منهم.

ولقد ارتبطت الأضرحة عبر التاريخ بالخرافات والشعوذة والأعمال المنافية للدين والخلق، ويكثر عندها ممارسة الشرك والبدعة، وهي وسيلة لأكل أموال الفقراء والبسطاء ظلماً وعدوانا وبالحرام من قبل سدنة الأضرحة.

ففي مالي تم تدمير إحدى البوابات القديمة والمغلقة منذ عقود في مسجد «سيدي يحيى»، والتي يعتقد العامة هناك أن فتح هذا الباب سيكون بداية يوم القيامة!! ولاحظ مقدار الخرافة في هذا المعتقد، فهذا المسجد بني في القرن الخامس عشر الميلادي، أي بعد توقف الوحي بـ ٧٠٠ سنة فمن أخبرهم بذلك ومن أين جاءت هذه الخرافة ؟

وكنتُ شاهدتُ على الجزيرة الوثائقية برنامجاً عن بوابة لضريح في باكستان، يعتقد الكثيرون أن عبوره يفتح لك باب الجنة، وهو لا يفتح إلا ليلة في السنة، ولذلك يتجمع مئات الآلاف سنويا لعبوره!! وهذه خرافة لا أصل لها، ولكنها ثقافة الأضرحة.

ولما طمّت البدع والمنكرات في مواسم احتفالات الأضرحة بمصر، قام المجلس الصوفي الأعلى بمصر بإصدار تعليمات برنامج الاحتفال بالمولد الزينبي لسنة ٢٠٠٥، نشرتها مجلة التصوف الإسلامي بالعدد (٣٢٠) جاء فيها:

«١- عدم استخدام الآلات الموسيقية بمجالس الذكر.

٢- عدم اختلاط النساء بالرجال وضرورة عمل سواتر داخل الخيم التي يتواجد بها نساء...

٥- نظافة المساجد وطهارتها وعدم الطهي بها وعدم تعطيل شعائر الصلاة».

مما يدل على أن الممارسات القائمة حول الأضرحة حالياً: استخدام الموسيقي، اختلاط الرجال بالنساء، تعطيل الصلاة !! فضلاً عن تعاطي الحشيش وارتكاب الموبقات، وهي مظاهر موثقة في العديد من البرنامج الوثائقية والتقارير الصحفية عن احتفالات الأضرحة.

وفي رواية «قنديل أم هاشم» ليحيى حقي تصوير لواقع الأضرحة وتلاعب سدنتها بالناس، وكيف أنها ترسخ الجهل والخرافة بين الناس باسم الدين والبركة والولاية، والدين والبركة والولاية أبرياء من هذه الشركيات والشعوذات والخرافات.

فالغريب أن تحرص المنظومة العلمانية على استمرار الأضرحة وطقوسها السيئة، فتجد من الرعاية والحفاوة والدعم والمشاركة على كل المستويات، فتتعدد مشاركة السفراء «الخواجات» في مناسبات الأضرحة والموالد في مصر والمغرب والجزائر وغيرها، بل وتعتبر مدعية المحكمة الجنائية الدولية أن تدمير الأضرحة في مالي يشكل «جريمة حرب»، في الوقت الذي يتعرض فيه المسجد الأقصى المبارك لسلسلة متواصلة من التدمير وحفر الأنفاق تحته عبر عقود، ولم نسمع للمحكمة الجنائية صوتاً !!

وها هو الأردن ينجح مؤخراً بحماية مدينة القدس القديمة وطريق باب المغاربة بضمّها ضمن التراث العالمي المهدد بالخطر، على غرار أضرحة مالي ولننتظر موقف المحكمة الجنائية من تعديات إسرائيل المتواصلة واعتبارها جريمة حرب، ولكن التاريخ علمنا أن مواقف هذه المحاكم مسيس بحسب المصالح وليس باحثاً عن العدالة والحق.

وفي الوقت الذي تنشغل فيه وكالات الأخبار بهدم أضرحة مالي، لا نجدها تهتم بهدم مساجد سوريا بقذائف الدبابات والصواريخ الحكومية التابعة لبشار، مساجد تهدم على رؤوس المصلين، ومصلون يحاصَرون بالمساجد ويتعرضون لنيران القناصة، هذا خبر لا يهم ولا يحفل به أحد، تلك المساجد التي هي محضن الثورة والثوار من أول يوم، والتي انطلقت من المسجد العمري بمدينة درعا وإمامه الشيخ أحمد الصياصنة.

وفي العراق ومنذ دخول الأمريكان للعراق، تعرضت المساجد لحملة من الاعتداءات الطائفية بالحرق والقصف، وتم تحويل عدد من المساجد السنية إلى مساجد شيعية من قبل ميلشيات جيش المهدي وفيلق بدر، وتواصلت الاعتداءات وكثرت، ووثقها كتاب «مساجد في وجه النار»، حتى أنها بلغت بحسب مصادر الوقف السني ١٩٠ مسجداً تم الاستيلاء عليها وتحويلها

من ملكية أهل السنة للشيعة، وذلك تحت بصر وسمع الحكومات الشيعية التي تزعم محاربة الطائفية والمحاصصة!

إن الاهتمام بالأضرحة في مالي على حساب المسجد الأقصى والمساجد في سوريا والعراق، مؤشر على استمرار مخططات بعض مراكز الدراسات الغربية مثل مؤسسة راند بدعم وتقوية الاتجاهات المنحرفة كبعض الطرق الصوفية والتي تقبل أن تبقى في إطار الفولكلور والتراث، بتقديم الاستعراضات الفنية للسياح الأجانب!! في وجه التيار الإسلامي الذي يسعى لاستعادة الكرامة والحرية ويعمل لنهوض وتقدم الأمة الإسلامية على مختلف المستويات.

بن جدو والموضوعية المخادعة!!

مجلة المجلة ٢٠١٢/٧/٥

المذيع المعروف غسان بن جدو يتمتع بقدرة كبيرة على اثارة الضجة حول كل خطوة يقوم بها حتى لو لم تستحق أي قدر من الاهتمام.

من أشهر الضجات التي أثارها هي إعلانه الاستقالة من قناة الجزيرة الفضائية بعد سنوات من العمل فيها. كل يوم يستقيل عشرات الصحافيين من المحطات أو الجرائد لاسباب مختلفة ولكن لا نعلم عنهم شيئا. بوجه متكدر ومهموم ونغمة بطولية، ظهر بن جدو على الشاشات يشرح تفاصيل استقالته ويؤكد أن زوجته هي الانسانة الوحيدة التي استشارها.

معلومات تفصيلية مملة ولكن السؤال المهم ما هو سبب الاستقالة؟ بن جدو غضب على تحول خطاب قناة الجزيرة نحو سوريا والثورة المندلعة فيها ضد حزب الله الداعم للنظام السوري، لذا أعلن خروجه بصورة مسرحية رافضا انتهاك المثل الصحافية.

بعد سنوات طويلة من تلميع النظام السوري «المقاوم» وحليفه حزب الله.. غيرت الجزيرة (بذكاء) خطابها عندما بدأ هذا النظام السوري بقتل الأبرياء وتقطيع أعضائهم التناسلية وهو مستمر لحد الآن في ارتكاب المجازر الفظيعة. أي صحفي، بل أي انسان سيعتبر تراجع الجزيرة خطوة جيدة تحسب لها. تغطية مثل هذه الجرائم يعد واجبا أخلاقيا قبل أن يكون واجبا صحافيا.

لكن بن جدو له رأي مختلف، وهو دائم الاستخدام للحديث المخادع عن القيم والمثل المهنية. كل محطات وصحف العالم تهب دفاعا عن الانسان إذا ما تعرض لمجزرة أو إبادة جماعية سواء في سوريا أو بورما أو أي مكان في العالم. وكل الصحافيين الذين يحترمون القيم المهنية يدركون تماما أنه لا يمكن أن تدافع عن الجزار وتخذل الضحية أو أن تقف مع الدكتاتور الدموي وتتركه يجهز على النساء والأطفال.

في أوضاع مريعة مثل هذه لا بد أن تكتب الأقلام وتصور الكاميرات بشاعة المجازر حتى يهب العالم لوقفها. تخيلوا فقط لو أن الصحافة العربية والأجنبية لم تتحدث عن مجزرة الحولة وانتظرت من غسان بن جدو حتى يعلمها ويدرسها المبادئ المهنية التي تعني عنده تقديم الفرصة للشبيحة حتى يشرحوا موقفهم من قتل الأطفال من مسافات قريبة!!

أي موضوعية يتحدث عنها بن جدو وعدد القتلى الآن تجاوز ١٥ ألف قتيل على يد نظام اشتهر بدمويته.

في عمليات الإبادة والمجازر الجماعية، الموضوعية تكون في كشف مدى بشاعة هذا الجرائم لا في انتظار تبريرات النظام حول الكيفية التي نفذ فيها عمليات القتل.

طبعا بن جدو يتذاكى علينا وهو يريد منا أن نستمع إلى الانكار والكذب المستمر من النظام السوري حول عمليات القتل التي قام بها وكأن الآلاف الذين فقدوا حياتهم ذهبوا نتيجة الحمى أو قام أهلهم بقتلهم كما أدعى بعض المؤيدين للنظام!!

عدد القتلى في تزايد مستمر وكل هذا موثق وبالصور. وبن جدو ينتظر منا أن نكذب أعيننا حتى يقر النظام السوري ويعترف بأسف بأنه الجاني. يدرك الجميع أنه لا يوجد نظام دكتاتوري دموي اعترف أنه قام

بارتكاب المجازر في حق المدنيين. كل الجرائم التي ارتكبها صدام حسين والقذافي وغيرهما لم يعترف بها يوما. لماذا إذن لا نكون أيضا موضوعيين معهم؟!!

هذه ليست مهنية بل تواطؤ يرتدي ثياب المهنية.

أخيرا ظهر بن جدو في محطة جديدة بعنوان «الميادين» وكالعادة أثار ضجة جديدة وردد نفس الكلام الزائف عن الموضوعية. يعطي بن جدو دروسا في الصحافة بالقول إنه يجب أن نكون موضوعيين حتى لو سمّينا بشار بالدكتاتور.. المهم أن نكون موضوعيين ومهنيين. يحاول بن جدو من جديد أن يلعب على وتر الموضوعية بالذهاب إلى أبعد ما يستطيع قوله بتسمية «بشار بالدكتاتور» محاولا أن يقول للمشاهد أن النظام يستحق الفرصة لكي يبرر سياساته. لا يعلم بن جدو أن لقب «الدكتاتور» تعتبر الآن كلمة ناعمة جدا في حق بشار فهو الآن يوصف في غالب وسائل الإعلام بـ«السفاح» و«الوحش» و«القاتل» لأن ماحدث لا يمكن وصفه بأقل من ذلك وهذه هي الموضوعية التي لا يريد بن جدو أن يعترف بها.

شخصيا لست متفاجئا بمثل هذا الموقف ولكنها فرصة للمتابع أن يرى بصورة واضحة زيف المدرسة الثورجية العروبية الصحافية التي أهلكتنا بالحديث عن الكرامة والبطولة والممانعة وروجت لأبطالها (أنظمة صدام حسين، بشار..ألخ) حتى وهم يرتبكون المجازر في حق المدنيين والأبرياء.

ليلة سقوط «البي بي سي»..

إبراهيم الشيخ - صحيفة أخبار الخليج البحرينية ٢٠١٢/٧/١

في شهر مايو من العام الماضي، كتبت مقالاً تحليلياً مطوّلاً بعنوان: «حكايات إعلامية تصنع الكوارث: قناة البي بي سي العربية.. هل هي مخترقة؟ عندما يتحوّل الإعلام من سلطة رابعة إلى بوق مُبرمج!».

المقال باختصار كان يتحدّث عن قيام تلك القناة بطعن قيم الحريّة والديمقراطية والعدالة، تحت راية «الغاية تبرّر الوسيلة»!

المقال تحدّث عمّا تقوم به تلك القناة من انحياز فاضح تحوّل إلى ما يشبه البوق المأجور، انتهك كل معاني المهنيّة والمصداقية في العمل الإعلامي.

البعض انتقد ما جاء في المقال، وقال انّه متحامل، ولأنّ ذلك المقال لم يُكتب «لفشّ الغلّ» فقط، وإنّما كان مليئاً بالأرقام والشواهد، فقد جاء تحقيق مجلس أمناء قناة البي بي سي المسمّى: «بي بي سي ترست» مؤخّرا، مؤيّداً لأغلب ما جاء في المقال!

التحقيق أكّد أنّ قناة البي بي سي كانت مهووسة ومنحازة بشكل كامل الى الأكاذيب التي كانت تروّجها (المعارضة)، وذلك بسبب عدم فهمها للوضع المعقّد داخل البحرين، على نمط خطاب المخلوع بن علي: «ما فهمتكمش»!!

التقرير وضع يده على حقيقة فشل القناة المهنيّ، وبالتأكيد لو يتواصل التقرير بمصداقية ومهنيّة أكبر، لتأكّدت حقيقة أخرى أوردتُها في ذلك المقال قبل عام، وهي أنّ قناة البي بي سي وبالأخصّ قسمها العربي، مُخترقة من مجموعة يُدفع لها لتجيّر التغطيات وصياغة الأخبار ضدّ البحرين، كما تعاني من ذلك قنوات أخرى، كالقناة الفرنسية والألمانية، ناهيك عن قنوات الصرف الصحي الإيرانية، التي تُعتبر اليد الطولى في الحراك الإيراني في المنطقة، كالعالم والمنار والاتجاه، إضافة إلى أكثر من أربعين قناة تسير في خدمة المشروع الإيراني!

ما يؤسف له، أنّ هناك قنوات أخرى تنادي بالرأي والرأي الآخر كقناة الجزيرة، شاهدنا دورها البشع والمنحاز والأعور في تغطية أحداث البحرين!

قبل فترة دخلت في نقاش مطوّل، مع إحدى طالبات الدكتوراه في الإعلام، وهي يونانية الأصل، حيث كان حديثها مشوّهاً عن البحرين والخليج عموما، ومصدرها الأوّل كان قناة الجزيرة الإنجليزية!

لم تنته المقابلة إلاّ بتحويل أفكارها عن حقيقة تلك الأحداث، وتزويدها بمجموعة من «السيديات» حول أحداث البحرين، تبيّن حقيقة العنف الطائفي الذي آثرت قناة الجزيرة وغيرها غضّ النظر عنه، لأنّها تمارس الرأي فقط ولا تلتفت الى الرأي الآخر!

ولعلّي اليوم أُنهي هذه المصارحة بما أنهيت به مقال

«حكايات إعلامية تصنع الكوارث» قبل عام، وهو ضرورة قيام أجهزة الدولة الرسمية بمقاضاة تلك القنوات، وهاهو الاعتراف قد صدر، ولا أقلّ من طلب رسمي يُرفع إلى القناة بضرورة الاعتذار الرسمي الى مملكة البحرين وشعبها، عن حملة التشويه التي كانت تقودها تلك القناة ضدّ البحرين، والتي تسبّبت في أضرار لا تعدّ ولا تُحصى!

برودكاست: خرج يُرغي ويُزبد، يهدّد المشير ويتوّعد، ثمّ قام بتمثيلية اعتداء رجال الأمن عليه!!

كلّها أيّام؛ وكُشفت فضيحة «خمسة أطنان» من المتفجّرات، كفيلة بنقل البحرين إلى محاكاة المشهد العراقي باحتراف وجدارة!

ألا تلاحظون أنّ الله يدافع عن البحرين، حيث يمكرون، وتسقط الدولة في الفخّ، ثمّ تأتي الفضائح تترى، لتعلن بصوتها المُجلجل: ابحثوا عن الحوار مع فئة أخرى نتشارك معها المصير المشترك، وليس مع فئات إرهابية، تدير عصابات مسلّحة، لا تخفي ارتباطها بإيران بحماية أمريكية.

لا يا أصحاب الفضيلة

لواء د. عادل عفيفي - المصريون ٢٠١٢/٧/٨

أما الأول فهو شيخ الأزهر، وأما الثانى فهو مفتى الديار.. هما يصران على إبقاء النص الدستورى المتعلق بالشريعة فى المادة الثانية من مشروع الدستور كما هو: «مبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسى للتشريع»، ويرفضان مطالبنا بتعديل النص ليكون «الشريعة الإسلامية مصدر التشريع».

السؤال الذى نطرحه للقارئ:

هل يجوز التصويت بنعم على دستور يجعل الشريعة مصدرا رئيسيا فقط للتشريع، مما يعنى أن التشريعات ممكن أن يكون لها مصدر آخر، مع شريعة الله، سواء بسواء، وأنه قد تترك بعض أحكام الشريعة، ويؤخذ بدلها أحكام أخرى من قوانين وضعية؟ وهل يجوز التحايل على تطبيق الشريعة بإضافة كلمة «مبادئ» الشريعة الإسلامية بدلا من الشريعة ذاتها؟

هل يجوز لنا التصويت على هذا الدستور، وهل يجوز للمسلمين أن يجعلوا مع شريعة الله تعالى مصادر أخرى للأحكام والقوانين والتشريعات تخالف الشريعة الإسلامية؟

ها هى الإجابة: الإجماع منعقد على أن مستحل التحاكم إلى غير الشريعة كافر.

لا خلاف بين العلماء فى أن من أجاز لنفسه أن يتخذ مشرعا مع الله تعالى، ويتحاكم إليه مع شريعة الله تعالى، فهو كافر، فقد ذكر العلماء من نواقض الإيمان (من أجاز الخروج على شريعة محمد ﷺ)، والمقصود من أجاز التحاكم إلى سواها فى كثير أو يسير.

ومعلوم أن نص الدستور على أن (الشريعة الإسلامية مصدر أساسى، أو رئيسى)، يعنى بصراحة ووضوح أنه يجوز أخذ التشريعات من غير الشريعة الإسلامية، فمن وافق على هذا النص بهذه الصورة، أو صوت عليه فى استفتاء عام، فقد أتى بابا عظيما من أبواب الشر والآثام، وهو من نواقض الإسلام، فإن علم أن هذا الأمر محرّم وبُيّن له أنّه إشراك بالله تعالى، شرك الطاعة والحكم. لأن هذا النص يجعل مع الله تعالى ندا، هو المشرع الآخر الذى تؤخذ منه الأحكام والتشريعات. ثم بعد البيان مضى فى موافقته على هذا الكفر، فقد كفر وارتد عن دين الله تعالى.

والواجب أن يكون نص الدستور (والشريعة الإسلامية هى مصدر التشريعات والقوانين والأحكام)، لأن هذا معناه أنها المصدر الوحيد، لا يجوز اعتماد سواه.

الرد على شبهة:

وأما زعم من زعم أن المقننين لابد لهم من سن قوانين من مصلحة البلاد والعباد، فلو تقيّد أهل القانون بالشريعة فحسب، لكان فى ذلك تحجير عليهم، فهذا قول من لم يؤمن بقلبه بكمال شريعة الله تعالى، وأنها كافية فى إصلاح العباد والبلاد، كما قال تعالى: (أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم)، وقال أيضا: (قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت

أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير)، وقال سبحانه: (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله)، وقال: (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء).

ومعلوم أن شريعة الله الهادية تدل على الأحكام بالنص ودلالاته من منطوق أو مفهوم ومعقوله أيضا، وهو القياس الذى دلت الشريعة على اعتباره، وتدخل فيه المصالح المرسلة، وبهذا تكون الشريعة الإسلامية قادرة على استيعاب كل متغيرات الحياة، غير محتاجة إلى تكميل من غيرها، ومن زعم أنها لا تفى بحاجة العباد ولا بد من تكميل من غيرها من القوانين لتصلح أحوالهم، فقد طعن فى حكم الله تعالى، وحكمته، وفى أعظم نعمه على هذه الأمة، لأنه سبحانه بهذه الشريعة الكاملة، أكمل دينها، وأتم نعمته عليها قال تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا).

شبهة أخرى:

وأما زعم من زعم أن الأنظمة الإدارية، والتراتيب التى تنظم أمور الحياة، لم يرد ذكرها فى الشريعة، وهى مما لابد للناس منها، مما يدل على إباحة أخذ التشريعات من غير الشريعة الإسلامية، فهذا كذب من القول وزور، ذلك أن هذه التراتيب الإدارية التى تنظم حياة الناس كلها لابد أن تكون داخلة فى المصالح المرسلة، مدلولا عليها بأدلة الشرع العامة، وقواعده الكلية، وقياسه الصحيح، وموافقة لمقاصده، ولو فرض أن أيا من هذه التراتيب الإدارية خالفت الشريعة، فحرام بإجماع المسلمين الأخذ بها.

ونصوص القرآن تكفّر من جعل مع شريعة الله شريعة أخرى يتحاكم إليها.

وقد قال تعالى نافيا الإيمان عمن لا يكتفى بالحكم بشريعته:

﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾.

وقال: ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا❖ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا﴾،

وهذه الآية الكريمة نص فى أن من يتحاكم إلى الطاغوت أو يحكمه فقد انتفى عنه الإيمان بدليل قوله تعالى: ﴿يزعمون أنهم آمنوا﴾، إذ لو كانوا مؤمنين حقا لما عبر عن ادعائهم الإيمان بالزعم، فلما عبر بالزعم دل على انتفاء حقيقة الإيمان بالله، كما أن فى قوله تعالى: ﴿وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا﴾، دليل أيضا على انتفاء حقيقة الإيمان عنهم.

وقال تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾.

وقال: ﴿ولا يشرك فى حكمه أحدا﴾، أى لا يجعل له شريكا فى الحكم والتشريع، فيكون مشركا بالله تعالى.

فيا أصحاب الفضيلة ويا أيها الناس: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾.

المرأة.. ومنصب نائب الرئيس

محمود سلطان - المصريون ٢٠١٢/٧/٨

لا يزال الجدل محتدمًا بشأن موقف «السلفيين» من حق المرأة في «الولاية العظمى»، أو في تولي منصب «نائب الرئيس» وسط صخب إعلامي هدفه الشوشرة والغوغائية على كثير من الحقائق والتفاصيل التي قد تُدين الجميع، خاصة أدعياء الدفاع عن حقوق المرأة من توحُّش «المجتمع الذكوري»، المدعوم بإرث من الإسلام السياسي «معادٍ» للمرأة بحسب ما تكتظ به عقولهم من أحكام معلّبة وفاسدة!

التساؤلات والجدل بشأن تولي المرأة منصب السياسة، ما انفك يطرح نفسه في كل مجتمعات الدنيا

بحسب الأوزان النسبية للقيم المحافظة لكل بيئة سياسية واجتماعية.. فالتساؤلات ليست حكرًا على «المجتمع الذكوري» العربي أو المسلم.

يوم ١٢ من يناير ٢٠٠٨، كتبت في «واشنطن بوست» - معلقة على ترشح هيلاري كلينتون للرئاسة - الدبلوماسية الأمريكية السابقة وعضو الحزب الديمقراطي السيدة «مادلين كونين»، متسائلة وكما ورد في عُنوان مقالها: «هل نحن مستعدون لترأسنا امرأة ؟!».

مقال «كونين» كان كاشفًا، بأن مناطق وولايات أمريكا ليست سواءً، فيما يتعلق بتولي المرأة منصب الرئاسة، أو العمل في السياسة إجمالاً، بل إنها قالت إن في بعض المناطق مثل: «نيفادا» و«ساوث كارولينا» وغيرهما من الولايات، لا يزال المفهوم المستقر لدى الرأي العام فيها «أن المرأة مكانها البيت»، واتشح مقالها بتوقعات غير متفائلة بشأن طموح المرأة في منافسة الرجال على هذا المنصب السياسي الرفيع في مجتمع «محافظ» مثل المجتمع الأمريكي!

إذن لا داعي لأن نسرف ونبالغ في جلد الذات في مصر، ورفع حاجب على حاجب والمَنْظرة على خلق الله، والادّعاء بأن المرأة المصرية ضاع حقها في تولي منصب الرئاسة أو نائبة للرئيس بسبب «الإسلاميين الظلاميين».

ولعلنا نتذكر مفارقات النخبة التي تدعي أنها «أخت» التنوير الباريسي «في الرضاعة»، ففي حين أنها تتباكى على «وحشية» المجتمع «الذكوري الإسلامي» الذي لا يرى في المرأة إلا أنها «عورة».. اختفت تمامًا ولم تَرَ في اضطهاد مرشحة دائرة الرمل بالإسكندرية «جيهان الحلفاوي» في انتخابات عام ٢٠٠٠، ولا في كسر نفس مرشحة مدينة نصر د. مكارم الديري في انتخابات عام ٢٠٠٥، أي تعدٍّ على «حقوق المرأة».. بل ربما كان سكوتهم - آنذاك - علامة رضا على ما لحق بهم من اضطهاد ومطاردة من قِبَل نظام الرئيس المخلوع!

والحال أنه في الوقت الذي يحاول فيه بعض السياسيين المصريين تخطِّي التقاليد الاجتماعية المحافظة، واستبدالها بما يستند إلى أعراف «الحداثة السياسية».. كان محترفو «البزنس» الحقوقي، المتمترسون في الخندق المعادي للمجتمع الذكوري.. كانوا يعيدون مصر إلى عهود «الظلامية السياسية»، كما عرفتها بعض الثقافات الدينية الأخرى والتي لا ترى في المرأة إلا أنها «رجس» من عمل الشيطان!

لا تهدموا الكون فقد لا تستطيعون بناءه

ناجح إبراهيم - الوطن المصرية ٢٠١٢/٦/١١

البعض يريد هدم الكون ثم إعادة بنائه على طريقته ويرى أن هذه الطريقة هى أسرع وأضمن وسيلة للتغيير والإصلاح، ضاربا عرض الحائط بأهم سنّة كونية وهى سنة التدرج التى قام عليها الكون كله بدءاً من الإنسان الذى يولد وانتهاء بكل شىء فى الوجود.

وسنن الله لا تحابى ولا تجامل أحدا، حتى لو كان مسلماً صالحاً، فمن وافقها انتصر بها، ومن اصطدم بها حطمت رأسه، وعليه وقتها ألا يلوم ربه ولكن عليه أن يلوم نفسه.

لقد جاء رسول الله (ﷺ) إلى العرب فى الجاهلية فلم يهدم حياتهم ثم يُقم أخرى مكانها حسب قواعد الإسلام. ولكنه أقر كل ما كان حسناً عند العرب وشجعه ووجهه لله، وعالج السلبى فقط، ولم يقتل أو يسجن أو ينكل أو يُقصى الذين حاربوه وآذوه ولكنه استعان بهم لنصرة الحق الذى جاء به. فاستعان بخالد بن الوليد رغم أنه كان سبباً فى هزيمة المسلمين فى «أحد» فأصبح ركناً ركينا فى الدفاع عن الإسلام وعلما على فتوحاته، ومنحه أعظم الألقاب ولم يعيّره بماضيه أو يقتله لأنه كان سبباً فى قتل ٧٠ من أصحابه فى غزوة أحد.. لأن الإسلام والتوبة تجب ما قبلها.

إن الأمم لا يصلح معها نظام «أون - أوف» فى التغيير.. فقد استعان رسول الله (ﷺ) بكل الذين حاربوه واضطهدوا أصحابه مثل أبى سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل وعمرو بن العاص حتى صاروا من أعظم أنصار الإسلام.

أما قومنا من بعض الإسلاميين والثوريين فهم يريدون هدم الجيش المصرى ثم إعادة بنائه حسب قواعدهم ويريدون هدم القضاء والشرطة المصرية والأجهزة الأمنية الثلاثة الكبرى ومنظومة الاقتصاد المصرى ثم إعادة بنائها حسب قواعدهم وخبراتهم المحدودة المتعجلة.. والتى تتبع غالباً نظام «أون - أوف».

والمشكلة هنا أنهم قد ينجحون فى هدم هذه الأجهزة العريقة عراقة الدولة المصرية ولكنهم لا يستطيعون بناءها فتحدث الفوضى العارمة، فالهدم سهل ويسير وسريع ويحسنه كل أحد، أما البناء فهو شاق وعسير ويحتاج إلى العباقرة.

وقد جربنا هدم الشرطة فلم تقم لها قائمة حتى الآن واليوم يريد البعض هدم القضاء المصرى كله من أجل قاض أو حكم قضائى لم يعجبهم، وها هم أنصار أحد مرشحى الرئاسة يحاصرون محكمة القضاء الإدارى ويجبرون قضاتها على مغادرة المحكمة من الباب الخلفى وترك الحكم لكاتب الجلسة للنطق به، رغم أن هذا الحكم كان فى صالح المرشح وحشوده الغاضبة، فما الحال لو كان الحكم ضده، ومنذ أيام بدأ العنف الفعلى بعد اللفظى مع القضاء والقضاة بالهجوم على دار القضاء العالى.

يا أحبتى.. الإصلاح يكون بالأناة والتدرج وحسب الوسع المجتمعى، الإصلاح يعنى أن تزيل لبنة فاسدة لتضع فى محلها لبنة صالحة مع وجود المبنى كله، أما أن تهدم البنيان كله فسوف يتهدم فوق رأسك، وقد تكون أعجز من إقامة بنيان أفضل منه، أو حتى أى بنيان آخر.

يا أحبتى.. تعلموا الدرس من العبقرى الصالح عمر بن عبدالعزيز الذى قال لابنه عبدالملك الذى استعجله الإصلاح: «يا بنى، إنها أمور شب عليها الصغير وشاب عليها الكبير، وإنى أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيتركوه جملة، فيكون من ذلك فتنة»، فلا تهدموا الكون فقد لا تستطيعون بناءه من جديد.

هل تحل العلمانية مشكلة التعددية؟

أ.د. جعفر شيخ إدريس - مجلة البيان ١٤٣٣/٩/١

على أي أساس يضع المواطنون في بلد ما دستورهم ويصدرون قوانينهم إذا كانوا منقسمين إلى أديان مختلفة؟

يثير هذا السؤال عدة مسائل:

المسألة الأولى: أن دعاة العلمانية ولا سيما في بلادنا العربية في هذه الأيام، يقولون إن الحل الأمثل هو الحل الذي لجأت إليه أوربا وأمريكا وسائر الدول التي قلدتها، وهو أن تكون الدولة علمانية لا تلتزم بدين لكنها لا تمنع أحداً من ممارسة دينه في حياته الخاصة. بهذا يكون المجال العام، مجال التشريع والتنفيذ والقضاء، مجالاً مفتوحاً لكل أفراد المجتمع يشاركون فيه باعتبارهم مواطنين لا باعتبارهم منتمين إلى هذا الدين أو ذاك، ويكونون بهذا متساوين في حقوقهم السياسية.

نقول نعم إن هذا قد يحدث إذا تنازل كل المنتمين إلى الأديان أو معظمهم عن أديانهم، أو على الأقل عن جانب المجال العام منها، ورضوا بأن يحصروها في الجانب الخاص كما فعل الغربيون. وقد صار كثير من المسلمين المتأثرين تأثراً شديداً بالفكر الغربي يعدون هذا أمراً طبيعياً، بل يعدونه أمراً لازماً للدولة الحديثة. رأيت ذات مرة في التلفاز أحد هؤلاء وهو يدافع دفاعاً مستميتاً عن الدولة العلمانية، ثم تبين في المقابلة معه أنه من حرصه على أداء الحج بطريقة كاملة لم يكن يكتفي بالسؤال عن أركانه وواجباته بل كان يحرص حتى على مستحباته! فهذا إذن رجل يرى أنه يمكن أن ينكر جزءاً من الإسلام ويدعو إلى هذا الإنكار ويظل مع ذلك مسلما ربما لأنه لا يعلم أن من شرط الإيمان بالإسلام أن يؤمن الإنسان به كله ثم يجتهد في أن يطبق منه ما استطاع، وأن من أنكر بعض الدين كمن أنكره كله. قال تعالى ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون ❁ أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون﴾ [البقرة:٨٥- ٨٦].

هذا إذا تبنت الأغلبية المسلمة الموقف العلماني. ولكن ماذا يحدث إذا ظلّ عدد كبير منهم مستمسكاً بدينه كله؟ هل يمكن أن يقال عن أمثال هؤلاء إن لهم حقوقاً سياسية متساوية مع غيرهم من العلمانيين الذين يشرعون لهم قوانين يخالف بعضها أوامر أديانهم؟ كلا. قد يقال

لماذا لا يقبلون رأي الأغلبية ويعيشون تحت قوانين يعلمون أنها مخالفة لدينهم؟ نقول هب أنهم فعلوا ذلك، فالسؤال ما يزال قائما. هل يقال عن مثلهم إن لهم حقوقا سياسية متساوية مع العلمانيين الذين يتولون التشريع له؟ كلا. إذن فالعلمانية لا تحل مشكلة التعددية.

الثانية: أن الخلافات بين الناس ليست محصورة في الخلافات الدينية، بل هنالك خلافات أخرى كثيرة وعميقة كالخلافات الاقتصادية السياسية بين دعاة الرأسمالية ودعاة الاشتراكية. فهل يشعر الاشتراكي في الغرب أنه مساو سياسيا للرأسمالي الذي يشرع للمجتمع تشريعات اقتصادية مبنية على الرأسمالية؟ وقل مثل ذلك عن بعض الاختلافات الاجتماعية والفلسفية والخلقية التي لا علاقة لها بالدين.

كيف تحل هذه المشكلة إذن؟ هذا يقودنا إلى

المسألة الثالثة: وهي أن جون رولز الأمريكي الذي كان يعد أكبر فلاسفة السياسة والأخلاق المعاصرين، زعم في كتابه الشهير اللبرالية السياسية political liberalism أنه توصل إلى إجابة عن هذا السؤال لأنه توصل كما يقول إلى مبدأ يمكن أن تتفق عليه كل الأديان والفلسفات والمبادئ الخلقية المتناقضة تناقضات عميقة لأن كلا منها سيجد له مكانا في دينه أو فلسفته أو معتقده الخلقي بشرط أن يكون ذلك الدين أو تلك الفلسفة أو ذلك المبدأ الخلقي (معقولاً). لكن تبين أن مربط الفرس كما يقولون إنما هو في كلمة (معقول) هذه. تساءل ناقدوه عن معيار المعقولية هذه عند رولز فوجدوه يرجع إلى الموافقة على مبادئ فلسفته اللبرالية السياسية. فقالوا له إنك لم تفعل شيئاً.

قلت إنك توصلت إلى مبدأ يوافق عليه كل أولئك المختلفين ويجعلونه معياراً، ويكونون بهذا متساوين سياسيا في الدولة اللبرالية الديمقراطية، ثم جعلت شرط موافقتهم عليه أن يكونوا موافقين على فلسفتك السياسية اللبرالية. ولعل من الطريف الذي يبين صدق هذا النقد للقارئ السوداني أن من بين التصورات الدينية التي رآها رولز معقولة كلاماً لمحمود محمد طه نقله إليه أحد الأساتذة، كلاما يفسر فيه محمود الإسلام تفسيراً جديداً لا يكاد يختلف في شيء عن الديمقراطية اللبرالية!

لقد تعجبت كيف ظن هذا الفيلسوف الكبير أنه سيجد حلاً لمشكلة يستحيل عقلاً أن تحل؟ أعني أنه يستحيل عقلاً أن توجد دولة لها دستور وقوانين ترضى عنها كل فئات المجتمع المختلفة لأنها تجد لها مسوغا في دينها أو فلسفتها أو مبدئها الخلقي.

الرابعة: أن الحل الممكن عملياً كما هو الواقع في البلاد الغربية مثلاً هو أولاً: أن تبنى الحياة في المجال العام على أحد المبادئ التي لا يشترط أن توافق عليها كل فئات المجتمع المختلفة ذلك الاختلاف الذي ذكره رولز، لكنها ترضى بها لكي تعيش مع غيرها في سلام في وطن واحد. لكن هذا يعني بالضرورة أن لا يكون المواطنون متساوين في الحقوق السياسية. وثانياً أن تكون لهؤلاء المواطنين جميعا حقوق إنسانية متساوية باعتبارهم مواطنين وبغض النظر عن الحكم الذي يخضعون له.

الخامسة: يتبين من هذا أن مثل العلمانية في هذا كمثل الحكم الإسلامي في كونها ليست محايدة بين الأديان أو المعتقدات الأخرى كما يصورها لنا القائمون بالدعاية لها، لأنها يمكن أن تشرع تشريعات تجيز بعض ما تمنعه بعض تلك الأديان والمذاهب أو تمنع ما تجيزه. وهي ليست بمحايدة بالنسبة للإسلام بالذات بل محادة له لأنها يمكن أن تحل ما حرم الله وتحرم ما أحل. وفي التجربة الأمريكية أدلة كثيرة على أن الدولة العلمانية قد تصدر حتى في مجال الممارسات الخاصة قوانين مخالفة لتعاليم بعض الأديان. ومن الأمثلة الطريفة التي يذكرونها أن تعاليم طائفة المورمون، وهي طائفة تنتمي إلى المسيحية، تبيح تعدد الزوجات تعددا لا حد له فيما يبدو. لكن المحكمة العليا منعتهم من ذلك وألزمتهم بعدم التزوج بأكثر من واحدة. كما أن القوانين في البلاد العلمانية الأوربية تبيح كثيرا من الممارسات الجنسية التي لا يوافق عليها كثير من اليهود والنصارى المستمسكين بدينهم.

السادسة: بعض الناس - حتى من المنتمين إلى بعض الأديان - ما زالوا يفضلون أن يكون الحكم في بلادهم

علمانيا لا إسلاميا لأن بعضهم ما يزال مخدوعا يظن أن العلمانية محايدة، وأن دولتها دولة مدنية يجد فيها كل المواطنين حقوقا سياسية متساوية. إن هؤلاء يغفلون عن كون العلمانية هي أيضا دين إذا أخذنا الدين بمعناه العربي الواسع، أو هي على الأقل مذهب من مذاهب الحياة لأنها تتضمن مبادئ وتشريعات وأوامر ونواه. فهي إذن ليست ضد الإسلام وحده وإنما هي ضد كل دين له تشريعات ومبادئ مختلفة عن تشريعاتها ومبادئها.

السابعة: من الدعايات التي يلجأ إليها بعض دعاة العلمانية في تنفير غير المسلمين من الحكم الإسلامي زعمهم بأنه ما دامت القوانين التي تصدرها هيئة تشريعية إسلامية هي بالضرورة قوانين دينية، فإن الدولة التي تصدرها تكون قد فرضت عليهم دينا لا يدينون به. لست أدري لماذا لا يقولون الشيء نفسه عن القوانين التي تصدرها الهيئات التشريعية العلمانية؟ لماذا لا يقولون إن كل قانون تصدره هيئة تشريعية علمانية هو بالضرورة علماني مخالف لدينهم؟

لماذا لا ينظرون إلى القوانين الإسلامية نظرتهم إلى القوانين العلمانية فيلتزمون بها لأنها قوانين أصدرتها دولتهم ولا ينظرون إلى عقائد من أصدروها ولا إلى دوافعهم كما أنهم لا يفعلون ذلك بالنسبة إلى القوانين التي تصدرها الدولة العلمانية؟ إن الدولة العلمانية بإمكانها نظريا ان تصدر قوانين متوافقة توافقا كاملا مع الإسلام، كأن تمنع الخمر أو الربا، فهل سيقول أمثال هؤلاء إنها لم تعد دولة علمانية بل صارت إسلامية تفرض عليهم دينا لا يدينون به؟

الثامنة: أليس من التناقض أن يكون الإنسان من المنادين بالديمقراطية ثم يعترض اعتراضا مبدئيا على إسلامية دولته مهما كان عدد المطالبين بذلك من مواطنيها؟ كيف توفق بين الديمقراطية التي تعطي المواطنين الحق في اختيار نوع الحكم الذي يريدون وتكون مع ذلك مناديا بمنع طائفة منهم من هذا الحق؟ إن منع فئة من المواطنين من المناداة بأن تكون دولته إسلامية لا يتأتى إلا باللجوء إلى قوة قمعية تحول بينهم وبين ذلك كما كان الحال في بعض البلاد العربية.

تاسعاً: لقد قال كثير من المنادين بالحكم الإسلامي ونقول معهم إن الحكم الإسلامي ليس حكما دينيا بالمعنى الغربي للكلمة، أي أنه ليس حكماً ثيوقراطيا يتولى الأمر فيه أناس يزعمون أنهم يتلقون أوامرهم بوحي مباشر من الله تعالى كما كان بوش يزعم أن الله تعالى أخبره بأن يفعل كذا ويفعل كذا وهو قائم على رأس دولة تعتبر علمانية. إن الحكم الإسلامي يختلف عن الحكم الثيوقراطي في ثلاثة أمور مهمة. أولها أنه قائم في النهاية على دستور مكتوب مفتوح لكل الناس هو نصوص الكتاب والسنة. وثانيهما أنه لا يجبر أحداً على الدخول فيه كما كانت الطوائف الدينية النصرانية في الغرب تفعل حين تؤول السلطة إلى واحدة منها.

كان النصارى يخيرون اليهود في الأندلس بين الدخول في النصرانية أو الموت أو مغادرة البلاد. وكانت الطائفة التي تؤول إليها السلطة تجبر الطوائف الأخرى على اعتناق معتقداتها. وهذا هو الذي تسبب فيما أسموه في التاريخ الغربي بالحروب الدينية التي كانت كما يرى بعضهم هي السبب في نبذ الناس للحكم الديني واللجوء إلى الحكم العلماني. ثالثا إن الحكم الإسلامي يعطي غير المسلمين حقوقا مثل ما يعطيهم إياها الحكم العلماني أو أكثر. قد يقول بعضهم كيف تقول هذا والدولة العلمانية تساوي بين المواطنين - من الناحية النظرية على الأقل - في حقهم في أن يتولوا رئاسة الدولة مثلا، بينما الإسلام يشترط في من يتولى هذا المنصب أن يكون مسلماً. أقول والعلمانية تشترط فيه أن يكون علمانياً! نعم إنه لا يهمها - من الناحية النظرية - أن يكون مسلماً أو نصرانياً أو يهودياً أو بوذياً ما دام انتسابه إلى دينه انتساباً ترضى عنه العلمانية، أي أن يكون تدينه تدينا محصوراً في الجانب الشخصي. أما في المجال العام فهو ملزم بالدستور والقوانين العلمانية. وبما أن الإسلام لا يفصل هذا الفصل الحاسم بين جانب الدين الخاص وجانبه العام، بل يعد رأس الدولة إماماً للمسلمين في دينهم كما أنه إمام لهم ولغيرهم في دنياهم كان من الطبيعي أن يشترط في رأس الدولة أن يكون مسلماً.